المشرق

مدرسة عين طورا

نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء اللازريين

١

عين طورا لفظة مشتقَّة من السريانية « ܥܝܢ ܛܘܪܐ » معناها عين الجبل. وهي اسم لقرية في كسروان موقعها بين هضاب جميلة المنظر تكللها اشجار الصنوبر الباسقة تبعد عن البحر نحو ساعة شرقًا وعن بكركي مقام البطريركية المارونية الجليلة نحو نصف ساعة جنوبًا. وفيها عينٌ عذبٌ ماؤها وسلس حتى سُمّيت بعين الجبل ومنها اخذت اسمها كما مرَّ بك. تربتها مخصبة وهواؤها طيّب. واغراسها التوت والزيتون وبعض الاشجار المثمرة كالبرتقان والتين والمشمش واللوز والاجّاص والتفاح وغيرها. وعدد سكّانها يبلغ الالفين تقريبًا. وفيها تلك المدرسة الشهيرة العريقة بالقدم ألا وهي مدرسة عين طورا التي يدير شؤونها كهنة جمعيّة الرسالة المعروفة باللعازريين منذ نحو سبعين سنة. والتي خرج منها عددٌ ليس بقليلٍ من مشاهير الرجال الذين خدموا الدين والعلم والوطن احسن خدمة وسنأتي فيما بعد بذكر اسماء الاكثر شهرة منهم. فعلى هذه المدرسة اذًا يكون مدار كلامنا هنا فنقول:

ان مدرسة عين طورا هذه كانت بادئ بدء ديرًا للآباء اليسوعيين الافاضل بناهُ سنة ١٦٥٢ الاب لمبرت (Lambert) اليسوعي والشيخ ابو نوفل الخازن الذي كان حاكمًا وقتئذٍ على تلك النواحي. فالاب لمبرت هذا كان اصلهُ من مدينة مرسيلية وكان قبل انتظامه في سلك جمعية يسوع الموقَّرة قدم مدينة صيداء ليتَّجر فيها. وكان رجلًا تقيًّا ورعًا فاضلًا يضاهي بايمانه الحيّ وقداسة سيرته المسيحيين الاولين. وكان للاباء

اليسوعيين يومئذٍ ديرٌ في تلك المدينة قد اقاموا فيه احدى الاخويَّات التقويَّة لافادة المؤمنين. فلمَّا درى لمبرت بذلك تاق الى الدخول في تلك الاخويَّة فقُبِل بين اعضائها وكان مثالًا صالحًا للجميع

وبعد ذلك بقليل علم لمبرت ان بعضًا من المرسلين عزموا على تأسيس رسالةٍ في اصبهان عاصمة بلاد العجم. فشعر بنفسه انَّ الله يدعوهُ لمساعدتهم في ذلك المشروع الخيريّ الآيل لخلاص النفوس ولامتداد ملك المسيح بين تلك الشعوب. فكاشف بذلك اناسًا اتقياء افاضل كان يثق بهم كلَّ الثقة. فاشاروا عليه باتباع هذا الالهام الالهي. فهمَّ لساعتهِ بالسفر وركب البحر قاصدًا بلاد العجم لكن العناية الربَّانيَّة التي احكامها غير احكام البشر ومقاصدها غير مقاصدهم قادتهُ بظروف وحوادث شتَّى الى شاطئ بلاد الهند الشرقيَّة بالقرب من مدينة مَليابور المعروفة بمدينة القديس توما لاستشهاد هذا الرسول فيها كما روى البعض. وهناك بينما كان يناجيهِ تعالى في صلواتهِ على قبر هذا الرسول المتقدّم ذكرهُ بتلك الكلمات عينها التي فاه بها الاناء المصطفى وهي: يا ربُّ ماذا تريد ان اصنع. سمع بصوت باطني يقول لهُ: أن ادخلْ جمعيَّة يسوع. وبعد ان استشار احد الرهبان الاغوسطينيين الافاضل ذهب الى رومية وطلب من الرئيس العام على الرهبانية اليسوعية الجليلة الدخول في رهبانيَّتهِ فاجاب الى سؤْلهِ

وبعد ان اكمل لمبرت مدَّة الامتحانات المعهودة واتمَّ دروسهُ الكهنوتية رقي الى الدرجات المقدسة. فارسلهُ رؤساؤُهُ مع اثنين من اخوتهِ الرهبان الى البلاد السوريَّة لمعرفتهِ اللغة العربيَّة اذ كان تاجرًا في صيداء قبل دخولهِ الرهبانيَّة كما سبق القول. فابحر من ثمَّ مع رفيقيهِ قاصدين صيداء او طرابلس حسب الظروف. ولكن بعناية من الله دهمتهم زوبعة شديدة قذفت مركبهم الى خليج جونية. امَّا سكَّان تلك البلدة فعند رؤيتهم هذا المركب راسيًا في مياههم على خلاف العادة اذ لم يكن لجونية ميناء في تلك الايام ظنُّوهُ لبعض القرصان فاسرعوا بالقبض على المرسلين ومن معهم واقتادوهم الى الشيخ ابي نوفل الخازن لانهُ كان حاكمًا على تلك النواحي كما سبق الكلام. وكان ابو نوفل هذا من مشاهير الطائفة المارونيَّة وكبارها ومن افاضل رجالها. وكان مثالًا للخير والتقوى ذا رأيٍ صائب وذكاء عجيب وحكمة ودراية غريبتين. وقصارى القول انهُ كان من الرجال الذين يؤَدّون ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وكفانا به مدحًا ان الملك

لويس الرابع عشر قد قلّدهُ رتبة القنصليَّة لدولتهِ الفخيمة في هذه الديار (١. فلمَّا رأى الشيخ هؤلاء المرسلين واطَّلع على اوراقهم علم انهم من الرهبانية اليسوعية الجليلة آتين للتبشير في هذه الديار السوريَّة. فاحسن استقبالهم واجلَّ مثواهم واترلهم بدارهِ على الرحب والسعة وغاية الاكرام والتجلَّة كما يليق بكهنة المسيح. والحَّ عليهم بالمكث في تلك الناحية للانذار والتبشير بين طائفتهِ وقدَّم لهم قطعة ارض من ارزاقهِ في عين طورا وبنى لهم فيها من مالهِ الخاص ديرًا للسكن وكنيسة لإقامة الصلوات واعطاهم بستانًا محاذيًا للدير المذكور. ومجمل القول انهُ أمدَّهم بكلّ ما يلزم لمعيشتهم ليتمكَّنوا من اتمام واجباتهم (٢ والانذار بكلمة الله

فانطلقت أَلسن هؤلاء الرهبان الافاضل بالشكر والثناء على هذا الرجل المحسن والمسيحي الفاضل. ومن ثمَّ ارسل الاب لمبرت كتابة الى رئيس الاباء اليسوعيين في صيداء يخبرهُ فيها بما جرى لهم بتدبير الله ويثني على همة وكرم الشيخ ابي نوفل طالبًا منهُ المصادقة على مشروعهم الجديد ليكون دير عين طورا معدودًا بين اديار الرهبانيَّة. فاسرع الرئيس المذكور بتلبية طلب الاب لمبرت وسعى لدى الرؤساء باقامتهِ رئيسًا على الدير المقدم ذكرهُ شاكرًا الله على ما اتاح لهم من آلائهِ ومنحهِ ومطنبًا في مدح الشيخ ابي نوفل. ومنذ ذلك الحين اصبح دير عين طورا مظهرًا لاعمال بني اغناطيوس الخطيرة ومجالاً لغيرتهم الرسوليَّة التي يحفظ لها لبنانا عمومًا وعين طورا وجوارها خصوصًا ذكرًا حميدًا مدى الدهر (٣

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٢٢٢–٢٢٥

٢) راجع مجموع رسالات المرسلين اليسوعيين (Lettres édifiantes, *Paris*, 1708)

٣) وبقي دير عين طورا كمقام للرهبان اليسوعيين يسكنهُ ثلاثة من رهبانهم يتفرَّغون فيها لاعمال الرسالة. ولمَّا كانت سنة ١٧٢٨ اوقف بعض المحسنين من الموارنة اوقافًا على دير عين طورا وطلبوا الى رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام في رومية الاب ميخائيل تمبوريني ان تُقام في الدير المذكور مدرسة لتهذيب بعض الاحداث ممَّن يؤمل ترشيحهم يومًا لدرجة الكهنوت. فلبى الرئيس المذكور دعاءهم ورأس الاب انطون ماريًا ناخي الماروني اليسوعي على المدرسة المذكورة. ثمَّ بعد قليل زادت الحسنات وتوفَّرت الاحباس على هذه المدرسة لاسيما بهمَّة اكبر المحسنين اليها المطران بطرس مبارك الذي تخلى بعدئذٍ عن الاسقفية وانتظم في سلك الرهبان اليسوعيين. فرأى الاب فرنسيس رتز (Retz) رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام ان يوسّع نطاقها فاثبتها ثانيةً في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ وجعلها على مقتضى نيَّات المحسنين مدرسة اكليريكية للموارنة والاقباط والكلدان

وليس فقط ذلك بل اصبح هذا الدير مقاماً يؤمُّهُ الرهبان اليسوعيون لترويح النفس من اتعاب الكرز والتبشير لطيب مناخهِ وعزلتهِ وانفرادهِ عن ضوضاء العالم كما انهُ صار محطاً للسيَّاح والرحَّالة الذين كانوا يأتون من الغرب للتنقيب عن عوائد الشرق والتفتيش على آثارهِ القديمة. نخصُّ بالذكر منهم الاب بسُّون مؤلف كتاب سوريَّة المقدَّسة (La Syrie Sainte) وفولنه ولامارتين والسيد ميسلان (Mgr Mislin) وفيكتور جيران (Guérin). وبعد الاب لبرت توالت الرؤساء على هذا الدير وقد اشتهر منهم الاب فروماج اليسوعي الشهير صاحب التآليف العديدة وهو الذي حضر المجمع اللبناني (١ المنعقد في ٢٨ ايلول سنة ١٧٣٦ والمنتهي في ٣ تشرين الاول من السنة عينها وذلك في دير اللويزة للرهبانيَّة الحلبية المارونية تحت رئاسة ذي الاصل والشرف والشهرة السيد يوسف السمعاني حارس المكتبة الواتيكانية المرسل من قبل الكرسي الرسولي المقدَّس لرئاسة المجمع المنوَّه بهِ

٢

ولمَّا صدر امر البابا اكليمنضس الرابع عشر بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة أُلغيت لاسباب سياسيَّة لا حاجة لايرادها الآن وكان ذلك في ٢١ تموز سنة ١٧٧٣ لكن الامر لم ينتهِ ولم يتمّ انفاذهُ في الشرق الَّا في سنة ١٧٧٦ فالحَّ المسيو دفرجار (Devergères) وقتئذٍ سفير فرنسا لدى الباب العالي ومن بعدهِ خليفتهُ الكونت دي سان برياست (Le Comte de St Priest) على الملك لويس السادس عشر لكي يطلب من رومية مرسلين افرنسيين ليخلفوا اليسوعيين في الشرق محافظة على العلاقات التي تربط الفرنسيين مع السوريّين وحبّاً بدوام الاتحاد فيما بينهم. فصدر الامر حينئذٍ من لدن الكرسي

بشرط ان يكون ثلاثة ارباع التلامذة من الموارنة. وفي السنة التالية ١٠ ك ١ ١٧٣٥ انشأ الاب جرجس بنيامين اليسوعي (وكان سابقاً مطراناً على اهدن) مدرسة أُخرى في زغرتا سلّم ايضاً تدبيرها الى الاباء اليسوعيين. وبقيت كلتا المدرستين تحت نظارة الاباء اليسوعيين الى سنة الغاء الرهبنة ١٧٧٣ (المشرق)

١) والاب بطرس فروماج المذكور هو الذي خطب في افتتاح المجمع اللبناني وقد أُثبتت خطبتهُ في اعمال المجمع باللاتينية. وكان وقتئذٍ رئيساً عاماً على رسالة الرهبانية اليسوعيَّة في سوريَّة. ولهُ آثار عديدة مشهورة منها تعريبهُ نيّف وثلاثين كتاباً طُبع كثيرٌ منها في مطبعتي الشوير ورومية وفي مطبعتنا الكاثوليكيَّة (المشرق)

الرسولي بناء على طلب الملك لويس السادس عشر الى الاب جاكيه (Jacquier) الرئيس العام يومئذٍ على جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازاريَّة المؤَسَّسة من القديس منصور دي بول باجابة رغبة الملك لويس. فأبى الاب جاكيه القبول مرارًا لكنَّهُ رضخ اخيرًا لامر قداسة البابا وعظمة الملك متيقنًا ان هنــاك ارادة الله وارسل للحال الاب ڤيكيه (Viguier) الذي كان في تلك الايام نائبًا رسوليًّا في الجزائر الى سوريَّة لكي يفحص عن الاديار التي كانت للاباء اليسوعيين وينظر في ما يجب فعله

وبعد الفحص والاستعلام الكافيــين رجع الاب ڤيچيه المذكور الى باريس واعلم الرئيس العامَّ بما رأى والرئيس العام اطلع وزير البحريَّة على كلّ ما اخبرهُ عنــهُ الاب ڤيكيه وبعد المداولة الطويلة بين وزير البحريَّة هــذا وبين الملك لويس السادس عشر والكرسيّ الرسوليّ قرَّ القرار على تسليم الاديار التي كانت تخصّ الآباء اليسوعيين في سوريَّة الى الآباء اللعازريين فاصدر للحال البابا بيوس السادس براءة رسوليَّة مؤَرخة في ٢٢ تشرين الثاني من سنة ١٧٨٢ بها يُقيم اللعازريين خلفاء لليسوعيين في المشرق. لكنهُ لسبب الثورة التي حدثت بعد ذلك بقليل لم يتمكَّن الرئيس العام على جمعيَّة الرسالة من ارسال عدد كافٍ من المرسلين الى الشرق فارسل سبعة عشر مرسلًا فقط تحت تدبير الاب ڤيكيه الذي سبق لنا الكلام عنهُ

فتفرَّق هؤُلاء المرسلون الى رسالات شتى وتالت سوريَّة منهم حظّهــا الطيّب. امَّا عين طورا فاتاها الاب كورديه (Cordier) مع اثنين من اخوته المرسلين واقاموا فيها. وكان هذا الدير وقتئذٍ يكفي لسكنى اربعة او خمسة من الرهبــان على الكثير. امَّا الكنيسة التي كانت ولم تزل على اسم القديس يوسف البتول فتسع سبعــين او ثمانين شخصًا. وهي متينة الجدران يعلوها في الوسط قبة كبيرة مستديرة فوقها صليبٌ. والهيكل الكبير يوجد تحت العقد من جهة الشرق. وفيها هيكل مكرَّس للبتول القديسة تحت العقد من جهة الجنوب. وبالقرب منهُ قبوٌ صغيرٌ تحت الارض لدفن موتى الرهبانيَّة اليسوعيَّة وفيهِ دُفن ايضًا المرسلون اللعــازريُّون الذين سكنوا عين طورا منذ عهد الاب رنار (Renard) والسيد كندلفي (Gondolfi) اللذين سيأتي الكلام عنهما الى الاخ كلاره (Claret) الذي تُوفّيَ في ٤ كانون الاول من السنة المنصرمة. ولم تبقَ الكنيسة المذكورة على ما كانت عليهِ تمامًا بل أُحدث فيها بعض التغيــير اذ أُقيم بازاء هيكل العذراء اي

جهة الشمال عقد آخر أُضيف اليها وجُعل تحتهُ هيكل لقلب يسوع الاقدس ثم استُدل هذا الهيكل وصار في اوائل السنة الماضية للقديس منصور مونس جمعيّتي كهنة الرسالة واخوات المحبة. وبالقرب منهُ أُقيم اخيرًا من جهة الغرب معبدٌ لاخويّة تراع مخاصنا يسوع المسيح التي شُيدت حديثًا في اواسط هذا الشهر في الكنيسة المتقدّم ذكرها لسكّان قرية عين طورا. واما الدير فيوجد بجذاء الكنيسة من جهة الغرب وهو طابقان طابق سفليّ وفيهِ بيت الاكل وبيت المؤونة الخ. وطابق علويّ ويحتوي على اربع قلالي لسكنى الرهبان وكل ذلك محفوظ الى ايامنا هذه كذكر ثمين من الآباء اليسوعيين الاجلاء. والقلالي التي كان يسكنها ابناء القديس اغناطيوس يقطنها اليوم ابناء القديس منصور دي بول

(ستأتي البقيّة)

الصابئة او المندائية

لحضرة اللنوي البارع الاب انستاس الكرملي

اذا اخذ احد الادباء يبحث عن هذه الديانة واصحابها. وتصفّح لهذه الغاية كتب المتأخرين والمتقدّمين على اختلاف مشاربها واحزابها. وقابل ذلك بما هو مشهور عن الصابئة في هذه الايام. سمع أقوالًا متناقضة في الفحوى وفي الكلام. اذ كل واحد من الكتبة. يكذّب من سبقهُ. لا بل وكل مَن ناصبهُ. ويدّعي لنفسه الهداية. وينسب لغيرهِ الغواية. فيرجع القارئ اخيب من القابض على الماء. محتقرًا المؤرخين ومدوّني الاخبار والأنباء. لانهم لا يتثبّتون الحقائق. قبل ابداعها المهارق. ويقيّدون كلَّ ما مرَّ بخيالهم. او خطر على بالهم

اما الحقيقة فهي على خلاف ما يتصوّرها هذا الباحث المستبين. عن أقوال الاولين والآخرين. بل في الاطّلاع عليها وجمعها فوائد عديدة. وعوائد فريدة. تدلّ على انتقال هذه الديانة انتقالةً بعد انتقالة. من حالةٍ الى حالة. على توالي الدهور. وتراخي ستور العصور. اذ ان هؤلاء الكتبة دوّنوا ما علموهُ عن الصابئة في عهدهم. واعتمدوا على ما رأوا او سمعوا منذ وجودهم في مهدهم. فخُيّل الى المتأخر الكذب والاختلاق. في من سبقهُ من كتبة الآفاق. وقد بحثنا عن هذه الامّة وديانتها. وعشنا بين اصحابها وكهنتها.

وسألنا شيوخها وخاصّتها . وفروخها وعامّتها . وما زلنا نتتبّع تلك الحقائق . ونستقصي الدقائق بعد الدقائق . فتنجلي من. عندها كل الجلاء . . وتؤيد قولنا هذا تأييدًا لا يبقى وراءه شكٌ ولا خفاء . . ولهذا فنحن لا نخطّئ واحدًا ممّن تقدّمنا ولا نعزو الوَهم الى واحد من اولئك القوم . بل نتّخذ كلامهُ شاهدًا على معتقد تلك الأمّة في ذلك اليوم . ونسنده ُ بالاسانيد البائنة . وندعمهُ بالادلّة الراهنة . وتمهيدًا لذلك نقول . طالبين من الله سواء السبيل والحصول على المأمول

...

الصابئة ديانة « تغيّرت » على كرّ الاعصار . و« تبدّلت » متنقّلةً من اطوار الى اطوار . بموجب ما حلّ بها من الأغيار . او بموجب ما طرأ في عصرها من الطوارئ الكبار . او الاديان السائدة في تلك الأقطار . « فتفرّع » منها فروع عديدة . واتّسع معنى لفظة الصابئة فشملت شيئًا غير زهيدة . كما شملت لفظة اليهوديّة والنصرانيّة والمحمديّة فرقًا مختلفة . يرجع اليها اصحابها في امور مهمّة آراؤهم فيها مؤتلفة . وعليه فاوّل نشأة الصابئة كانت عبادة النجوم والكواكب وذلك منذ عهد عهيد . ثمّ انتقلت الى اكرامها بهيئة الاصنام والرموز والاحتفاء بها عيدًا بعد عيد . وبعد ذلك انتشرت آراء فلسفة اليونان . فزاد ائمّة الصابئة على معتقدهم شيئًا من تلك المذاهب زيادةً في الافتنان . ثمّ لمّا ظهر الدين القويم وانبثّ نور الايمان . واضاء على السهول والحزون والوديان . اقتبس الصابئة آراء من النصرانيّة قبسة العجلان . وفي القرون الاولى للمسيح كُتبت بعض كتبهم بدون ذكر اسماء المدوّنين . فنُزّلت منزلة التنزيل دونها الانجيل المبين . « فوقف عند ذلك » تغيير الدين . اذا نضب عنهُ ماء المعين . وبقي مذهبهم منذ ذاك الحين . على ما نسمعهُ عنهم او نشاهدهُ فيهم من أُخريات هذه السنين

هذه هي الاطوار الكبرى . ما عدا ما تجاذبها من الأغيار الصغرى . التي اختلفت باختلاف الاماكن والبلدان . او باختلاف الشعوب والالسنة والازمان . غير اننا لا نلتفت اليها في هذه المقالة لكي لا يهجم على القارئ الإشكال او الابهام . فيساورهُ مساورةً دونها مساورةُ الضرغام

وعليه فانتقال ديانة الصابئة على اربعة اطوار كبرى وهي :

١ طور عبادة النجوم

٢ً طور عبادتها برموز واصنام

٣ً طور ادخال آراء فلسفيّة فيها

٤ً طور ادخال آراء نصرانيّة فيها او الطور الاخير

ويجب علينا الآن. ان نتكلّم عن كل طور بما يحتملهُ المكان. ابقانا للقارئ على رأينا هذا الجديد. المستند على سديد الاسانيد. وهو على ما خُيل لنا ليس عن الحقيقة ببعيد. ونبين لهُ ان كل من هذه الاطوار. قد ابقى وراءهُ شيئاً من بعض تلك الآثار. التي جملتهُ من هذا القبيل شبيهاً بطبقات الارض. التي يُرى فيها بالطول والعرض. مستودعات العصور الغابرة. ودلائل السيول الجارفة العابرة

١ً طور عبادة النجوم

اول نشأة الصابئة كانت عبادة النجوم والاجرام العلويّة وهي اول ديانة وُجدت بعد فساد الدين الحقيقي وهذا الفساد قديم العهد يرتقي الى قبل حدوث الطوفان. وهو ما يدّعيه ايضاً الى يومنا هذا الصابئة اذ يقولون ان آدم كان صابئاً وكذلك حواء وسائر الاباء الاقدمين. فهذا الكلام وان كان لا يخلو من غلوّ ظاهر ظهور الصبح لذي عينين فانّهُ يدلُّنا على انّ الصابئة قديمة الوجود. والكتاب الكريم يقول: « وفسدت الارض امام الله ومُلئت جوراً » (سفر التكوين ٦ : ١١) فلا شك ان هذا الفساد لم يكن من جهة الاداب فقط بل من جهة الديانة ايضاً لان القلب لا يفسد الّا بعد فساد العقل

امّا ان الصابئة بمعنى عبادة النجوم هي قديمة فالادلّة كثيرة. واول ذلك قدم وجود الوثنيّة التي يشهد بها آثار الغابرين التي وجدت في هذا القرن من اشوريّة وبابليّة وكلدانيّة وفينيقيّة ومصريّة. وكما انّ الوثنيّة هي بنت الصابئة كما سيأتي ايضاح هذه القضيّة نتج انها اقدم منها

ثانياً عند الصابئة الحاليين اسماء نجوم واصنام وروحانيين لم تكن معروفة الّا في عهد القدماء من بابليين واشوريين وغيرهم ولم يذكرها اصحاب التواريخ المعروفة لكن عثر عليها العلماء في هذه الازمان في المندرجات والكتابات المادّيات. فنتج من ذلك ان الصابئة الحاليين حفظوا خلفاً عن سلف تلك الاسماء. كما اخذوا عنهم عبادة النجوم من ذلك مثلاً: « بيليت ونيدغل وأنبو وبيلو وشَمَش » وهلمّ جرّاً

ثالثاً المؤرخين لسان واحدٌ على ان معنى الصابئة عبادة النجوم او تعظيم الاجرام السماوية

رابعاً نشأة الصابئة في مهد مجتمع الانسان قبل تفرّقه على وجه الارض وذلك حينا لم يكن يتكلّم الّا لساناً واحداً او ألسنة قليلة ويُستدلّ على ذلك من وحدانيّة اسم الجلالة عند اختلاف الشعوب وتصحيفه وتحريفه ومن اسماء جميع الاصنام القديمة التي تُردُّ الى اصل واحد يقرب من الاصل السامي ويُراد به النور او العلو او مثل هذا المعنى مما تتصف به الاجرام العلويّة مما يدلّ على انهم لمّا جهلوا الله الذي لا يُرى بالابصار ألّهوا تلك الاجرام النيّرة وعبدوها ثم نقلوها الى ذوات مجسّمة اي الى اصنام سمّوها بها . ولله اسان شهيران: « إيل » الساميّة و « دَيْف » Dev الموهومة عند العلماء سنسكريتيّة (ستأتي البقيّة)

ما هي المعجزات؟

للاب لويس معلوف اليسوعي

لله جمال الدين الافغاني اذ صوّب على تلك فئة الطبيعيّين سهام طعن وتفنيد لم تخطئ لعمرك مراميا فقال: « سعوا كل السعي في انكار العالم الاعلى وطمس كل نور عقلي يستنير الحكيم بسنائه في الاهتداء الى ما فوق الطبيعة . حصروا الكائن بل الممكن في المحسوسات المنظورات ولذا نفوا حدوث المعجزات بل نفوا امكانيّتها علماً منهم بان المرء ان سلّم بالمعجزات وما فيها من قوة البرهان فلم يبق لهُ وجه للتملّك في امر الدين وما ينزله ربك من الوحي على العالمين »

سبق لي بعض الكلام عن الوحي وإتزاله (المشرق ٢: ١٠٦ و ١٩٨) حيث بيّنتُ انَّ تفضّل الله به على عباده لشيء ممكن بل نافع بل لازم من بعض اوجه اللزوم . وهو الذي حدا بي الآن الى الخوض في مبحث المعجزات العويص . فانّها من اهمّ واقرب الوسائل في التوصّل الى معرفة انّ ذلك الممكن قد تمّ وأُبرز الى حيّز الوجود . انّها الخطّة القويمة التي يجب السير عليها ان شئت تميّز الوحي الحقّ من اضاليل اصحاب

الشعوذة ومزاعم ارباب الاديان الفاسدة. ذلك من تعاليم الكنيسة المعصومة عن الغلط وهو مما ادركهُ الذين اشتغلوا الفكرة في المباحث العقلية. قال ابن خلدون في مقدمته الشهيرة (طبع المطبعة الادبية ص٨٢): «ومن علاماتهم وقوع الخوارق لهم شاهدةً بصدقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم»

على ان ارباب القلم قد اكثروا في اقطارنا من التكلم عما يجري على ايدي القوم صدقاً او وهماً او مخرقةً من الاعمال الغريبة التي تقتضي ظواهرها قوى فوق ما عهدناهُ في العوامل الطبيعية. فمنهم مثبت ومنهم منكر ومنهم من ينتج عن مقولاته تمي حدوث اي حادث كان متى خرج عن دائرة الفاعيل الطبيعية فاشار الى ما وراء الماديات والمحسوسات

ومن ذا ترى ان امر المعجزات لأمر مهم يجمل بارباب الصحافة ومزاولي المعارف ألا يتهافتون على القول فيه عن غير إنعام بصر فيصلوا الى حيث ربما لم يقصدوا من النتائج الفاسدة والمفسدة في الدين فني العمران

ابدأ بالحقيقة الاولية الاصلية في هذا الباب ثم منها اتخطأ ان شاء الله الى بعض ما يتشعب عنها من المباحث

*

المعجزة لغةً ما عجز البشر ان يأتوا بمثلهِ. والمعجزات من هذا الوجه منتشرة في الكون تجدها حيثما أجلت الطرف. كل زهرة طاب لك عرفها وكل دويبة تدوسها بالرجل وكل ورقة قامت على الغصون تتهاداها ايدي النسيم انها لمعجزات يقصر الانسان مهما انتهى اليهِ من العلم عن صنع شيء منها بل يعجز عن ادراك النزر القليل من أسرار وجودها

ولا حاجة للتنبيه على ان المعجزات في هذا المعنى تخرج عن دائرة بحثنا. تلك وما يضاهيها امور معهودة مألوفة تجري على سنن معلومة وتسير في تولدها ونموها وكل أطوارها بمقتضى النظام الذي جعلهُ لها بارئها. والحال ان المعجزات في عرف اصحاب الكلام وائمة الدين هي من جوهرها ما خالف سنن الطبيعة وجرى على غير النظام المعهود كما سترى

كلُّ قوَّة في الكون فهي متناهية محدودة الَّا الله عزَّ جلالهُ فلا غاية تقف عندها مقدرتهُ ولا حدَّ يحدّ فعالهُ .

كل مخلوق محدود الجوهر فالقوى فالفاعليَّة: الأذن لا تنظر والعين لا تسمع البهيمة لا تدرك والشجر لا يحسّ والجلمد لا يشعر ولا يبدي حراكًا. ومن المختبرات اليوميَّة ان ما كان عاريًا عن الادراك وحرّيَّة العمل لا يؤثر ولا يتأثر الَّا تأثيرًا وتأثرًا معلومًا معيَّنًا لا يتحوَّل عنهُ. ان طرحت حطبًا في نار فلا بد ان يُحرق ويتفحّم وان جعلت الماء على منحدر سال وجرى. فهذه الخطة الثابتة المقرَّرة اي تماثل التأثر والتأثير عند تماثل العوامل وظروف عملها ذلك ما يدعونهُ النواميس الطبيعيَّة

كلُّ مخلوق محدود الجوهر فالقوى فالفاعليَّة: الانسان يتَّسع المجال امام عقلهِ ومخيلتهِ وارادتهِ اتساعًا نكاد نعجز عن تتبُّع أطواره ووَضع حدود لهُ. على انهُ متى باشر الماديَّات واراد الفعل في المحسوسات ففعلهُ محدود محصور في دائرة نواميسها لا يستطيع ان يُحدث فيها اثرًا الَّا بمقتضى ما تجري عليهِ من السُّنن وتنفعل لهُ من العوامل. ويتصل الانسان لعمرك الى الفعال الغريبة المذهلة: بوسعك ان تحيل الماء وتجعلهُ جمادًا او ان تصيّر الصخور الراسية هباءً يخفّ عن الهواء فيتصاعد الى أعلى طبقات الفضاء. بوسعك دكُّ الجبال وثلّ الحصون المنيعة. بوسعك ان تحدث كلَّ ما عهدناهُ من غرائب الصناعة والفنون ولكن بشرط ان تستخدم من القوى الطبيعيَّة الباعثة ام الضاغطة ام النافذة ام الجاذبة الخ ما يكون بهِ الكفاية لإحداث ذلك التأثير الذي رُمتهُ وتلك القوى لم تزد انت على تأثيرها وفاعليَّتها ولم تنقص منها شيئًا بل فعلتَ فعلها الخاصّ وجرت على ما لها من الاحكام والخطط. — بلغ نطاسيُّو الاطبَّاء في تطبيبهم الجسم الانساني غايات تقصر عنها السلف وربَّما لم تكن ليخطر لهم امكانها ببال. ولكن هل عهدتهم تجري الامور كما ارادوا ولمجرَّد كونهم ارادوا. بل انما اتصلوا الى ما اتصلوا اليهِ لازدياد مهارتهم في استعمال القوى الماديَّة وما جانسها. يسهّلون لها ظروف التأثير ويهيئون لها ما تلقى عليهِ حتى يكون تأثيرها فيهِ افعل وانجع فما ابرأوا جرحًا ولا أزالوا سقمًا الَّا وقد جروا على سنن الكون المادّي وساروا في استخدام ما فيهِ من العوامل والقوى على ذات الخطط والنواميس التي جعلها لها باريها

اذًا فاعليَّة الانسان محدودة حدًّا راهنًا بالنواميس والقوى الطبيعيَّة

كذا قل عمّا توسّط بين الانسان والباري في عالم الوجود من الارواح المخلوقة. انها متى ارادت فعلًا في العالم المحسوس استخدمت قوى الاجسام المادية وجرت على سننها واحكامها. ولكن بما انها أسمى من الانسان جوهرًا فهي اسمى منهُ عقلًا فمعرفةً بقوى الطبيعة وأسرارها. وعليهِ فالارواح قادرة على افعال تخرق قوى الانسان وربّما لا يتيسّر لنا في بعض الاحيان ان ندرك اسبابها ومصادرها. لكن تلك الارواح تعجز في نظر العقل المصيب عن بعض افعال كبعث الميت من قبرهِ وايجاد ما لم يكن موجودًا او اعدام ما اخرجتهُ يد القدير من عدمهِ. تلك اعمال يعجز عنها سوى الخالق

امَّا الباري جلَّ جلالهُ فهو علّة الكائنات والجوهر الذي لا يحدّ كمالهُ حدّ والقدرة التي لا تعجز عن فعل مفعول. وفعلهُ في الكون لا يقوم دونهُ قائم ولا يعيقهُ عائق ولا يجري بمقتضى احكام ونواميس القوى الطبيعيَّة وبمساعدتها. ولا بدع فانَّهُ من صفاتهِ تعالى اللازمة وكمالاتهِ الجوهريَّة ان يكون مستبدًّا يفعل ما شاء وكيف شاء. ولمجرَّد انَّهُ يشاء إن باستخدام ما اوجدهُ في الكون من قوى الطبيعة وإن بمطلق ارادتهِ الفعَّالة. أليس الله هو الذي:

احدث الخلقَ بين كافٍ ونونٍ من يكون المراد حين يقولُ

*

تلك بعض حقائق قامت عليها حجج عقليَّة دامغة. ذكرتها تمهيدًا لتعريف المعجزات تعريفًا راهنًا جامعًا مانعًا. كذلك متى اعتبرنا كيفيَّات فعل المخلوق وما يقف عندهُ من المستطاع فلا يصعب علينا بعدها تمييز ما يمكن صدورهُ عن البشر والارواح ممَّا يستحيل ان يُنسب احداثهُ الَّا للقدرة الالهيَّة اي تمييز ما كان معجزًا ممَّا سواه

اقول اذًا ان المعجزة هي فعل حسيٌّ خارقٌ الهيٌّ

وتوسّعًا في هذا الحدّ واستنتاجًا لما وراءهُ من الحقائق اذكر ان كل معجز حقيقي يتّصف بثلاث لا بدَّ منها اعني حيثيَّتهُ الذاتيَّة ومصدرهُ وغايتهُ

ومن هناك خصائص المعجزات الجوهريَّة التي ان انعمت النظر فيها لم يعسر عليك حلّ بعض مشكلات هذا الباب. والَّا لما أمِن المرء الضلال والوهم. وها كتب الملحدين مشحونة من الاضاليل والاوهام لانهم أغفلوا هذا الامر او جهلوا معنى المعجزات وحقيقة كنهها عند ائمتنا:

١ً المعجزة من جوهرها ان تكون اثرًا محسوسًا يقع تحت حسٍ من الحواس فيدركهُ ادراكًا يقينًا. كون الخبز والخمر يستحيل الى جسد الرب ودمهِ حسب العقيدة النصرانيَّة هذا لا غرو من الامور العجيبة التي تفوق بما لا يسع اليراع وصفهُ مستطاع البشر ومستطاع كل مخلوق. لكنَّهُ ولو كان خارقًا واعجب من كلّ ما علمناهُ وامكننا تصوّرهُ فلسنا نطلق عليهِ اسم المعجزة ولا ندخلهُ في دائرة المباحث العقلية عن المعجزات. انما المعجزة امرٌ حسيّ وتحوُّل الخبز والخمر الى جسد الرب ودمهِ ليس محسوسًا بل هو فعل الهي لا ندركهُ الّا بالايمان

كذا لا نطلق في اصطلاحنا اسم المعجزة على النبوءة. ذاك علم الغيب امر يفوق المستطاع البشري ويخرق ادراك الارواح ذاتها. وبين النبوءة والمعجزة تشابه محكم لان تلك كهذه تخرق القوى الطبيعيَّة مصدرها الله وغايتها تمجيد الله ولكن النبوءة — اي تلك استنارة العقل بالانوار العلويَّة تجعلهُ يدرك ما لم يكن ليدركهُ بقواه الطبيعيَّة — ليست في ذاتها مما يُعرض على الحواسّ فتدركهُ. والمراد بهذه الصفة الاولى ألّا يُدرج في عداد المعجزات الّا ما سهل على القوم تحقيق وقوعهِ فعلًا لاغراض سنعرضها عليك

٢ً المعجزة من جوهرها ان تكون فعلًا ربَّانيًّا. والمراد بذلك اننا لا نعدّ معجزة الّا الحادث الذي عرفنا مصدرهُ وادركنا ادراك اليقين مَن الذي فعلهُ. وهذا ايضًا مما لا ينبغي ترك التنبيه عليهِ. لسنا ندرج في سلك المعجزات ما جهلنا علّتهُ وخفي علينا سرّهُ. والّا لوجب القول بان الجانب الاعظم من الحوادث التي تجري على ايدي العلماء في اختباراتهم اليوميَّة لهي من المعجزات. مثلًا: كل جسم بسيط يحدث على صفحات الشبح الشمسي لونًا معلومًا مختصًّا بهِ. هل ألفيت من انبأك عن السبب المسبّب ذلك اللون؟ بعض المحاولات تنتظم ذرَّاتها عند التبلور على شكل معهود وبعضها على شكل آخر. ما السرّ في ذلك وما السبب؟ جهلناهُ. وكم من الحوادث والظواهر الطبيعيَّة جهلنا اسبابها واستحال علينا تعليلها. تلك وما كان من واديها ما من احد يقول انها معجزات ولو كانت امور جُهلت عللها واسبابها. امَّا المعجزة فسببها لا مجهول بل معيَّن مقرَّر معلوم علم اليقين. انهُ الله والله وحدهُ. اذ نتصل بالبرهان الدامغ والادلَّة الساطعة الّا ان ذلك الحادث الغريب يستحيل حدوثهُ عن غير السبب الاسمى فمصدرهُ فعل ربَّاني وفاعلهُ هو الله لا سواهُ

بعد ان طلب يشوع من الرب الظفر على الاموريّين امر الشمس وقد اقتربت من مغيبها وقال لها على مشهد اسرائيل: « يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايَّالون. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمِل للمغيب مدة يوم كامل » (يشوع ١٠ : ١٢—١٤)

وها الخطَّة العقليَّة التي يتعيَّن بها الفاعل: ذلك الحادث امَّا ان تكون علتهُ طبيعيَّة وامَّا ان يكون رب الطبيعة ذاتهُ. والحال ان القوى الطبيعيَّة لا يمكن ان تكون هي تلك العلة ومن اعتقد ان مخاطبة الشمس وأمرها بالوقوف علة كافية لإيقافها فما هو الَّا ممَّن فقد الرشد. فما بقي الَّا ان تقول:

امَّا ان ذلك المعلول وقوف الشمس في سيرها لا علة لهُ وهو ممَّا يخالف كل معقول وينقض كل الاوائل اذ لا معلول دون علة

وامَّا ان تلك العلَّة ليست الَّا الكلمة التي فاه بها يشوع — ولم يكن هناك من قبيل العلل الطبيعيَّة سواها — وهذا ايضاً بهتان كما لا يخفى اذ لا معلول دون علَّة كافية اذًا ما الفاعل والعلة الَّا الله

نتيجة القول انَّ المعجزة ليست ما جُهل سببهُ وعلَّتهُ. ان سببها معروف وعلَّتها مقرَّرة: هو مالك الكون ورب الورى سبحانهُ تعالى الذي لا اله غيرهُ

ومن وراء هذه الصفة الثانية ترى البون المهمّ الشاسع بين ما يعدُّه القوم معجزة القوم عن جهل وما هو كذلك عن يقين. كانوا اذا شاهدوا كسوف الشمس او خسوف القمر تحار البابهم وتسلب عقولهم ويرون في هذا الحادث أغرب الغرائب واعجز المعجزات وما كان اعجابهم الَّا لجهلهم سبب الكسوف والخسوف. فتلك المستغربات يقلُّ عددها على حدّ ما تتقلَّص دياجي الغي والجهل بشروق أنوار العلوم والمعارف. ونحن اذا ادركنا اسباب تلك الظواهر الفلكيَّة فما كان عند الخَلَف من العجيب المخيف الغريب اصبح عندنا من المفاعيل الطبيعيَّة المنتظرة الحدوث المعهودة الوقوع

امَّا ما علمناهُ العلم الراهن بالبراهين الثابتة انهُ ممَّا يخرق كل القوى الطبيعيَّة فهو معجزة في حصر المقال قد كان وسيكون عند الخَلَف كما عند السلف عند العلماء كما عند الجهلاء. امرًا لا يمكن نسبتهُ الَّا لرب الطبيعة: توقُّف الشمس عن المسير لكلمة. قالها انسان ذلك مهما تقدمت العلوم وتناهت اليه المعارف ممَّا لا يمكنك ان تذكر

لهُ سبباً كافياً متمناً في نظر العقــل المصيب إلّم تعترف بفعل او امر ربّاني احدث حدثاً يفوق القوى الطبيعيّة وما تقتضيهِ نواميسها واحكامها

٣ اما حيثيّة المعجزة الثانية فاعلم انهُ من جوهر المعجزة ألّا تكون إلّا لغاية يُحمد معها ان يجري الله في الكون امراً خارجاً عن مقتضيات النواميس الطبيعيّة التي سنهـا هو بحكمتهِ الصمدانيّة وتلك الغاية تعود الى نفع العابد وتمجيد المعبود:

ان وقفت الشمس في كبد السماء فما ذلك ألّا ليتمّ لشعب الله النصر على اعداء الله

ان اشفى بطرس الرسول الاعرج من بطن امّهِ فما ذلك ألّا ليعرف اليهود ان المسيح هو ابن الله. والحكمة في ذلك ان ما لم تكن تلك الغاية غايتهُ فلا يصدر عن الله. اذ ان الله لمّا كان الخير الاسمى فالغاية القصوى اللازمــة وجب ان يكون المراد بكل فعل يفعلهُ تعالى او يأمر بهِ تحقيق تلك الغاية وتمهيد الوسائل لنوالهــا. هو المبدأ وهو المعاد. منهُ وبهِ الوجود فلهُ واليهِ الوجود وما فيهِ

ومن هنا ترى انهُ اذا حدث في الكون امر غريب يعجز عنــهُ البشر ولكن لا الارواح وارتبنا في تعيين مصدره وعلّتهِ وفاعلهِ فيمكننا من اعتبار الغاية المقصودة بذلك الحادث ان نتصل الى بعض العلم وكشف الحجب عمن فعلهُ. فان كان فيهِ ما لا ينطبق على قواعد الحق والخير الراهنة ان كان فيهِ ما يدنّس ذيل الفضيلة او يطوّح بالانسان عن جادّة التدين والتعبُّد للمولى جلّ جلالهُ فقل ان ذلك من فعل الارواح الشريرة ولا بدّ. اذ من المحال ان يصدر مثل تلك الفعال عن ملائكة السماء وهم المنقادون لربهم في كلّ ما يبدونهُ في عالمنا من الفعال

قيــامٌ على الاقدام عانين تحتهُ ترائصهم من شدَّة الخوف تُرعدُ
وسبطٌ صفوف ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي رُكَّدُ
فنعم العباد المصطفون لامرهِ ومن دونهِ جندٌ كثيف مُجنَّدُ ...

ولعلّنا نعود الى هذا في ما يلي

وخلاصةُ ما ورد ان المعجزة من جوهرها ان تكون حادثاً حسيًّا يعرض في الكائنات المحسوسات على غير ما تقتضيهِ نواميس الطبيعة المعهودة — وان يكون مسببها البارئ تعالى — وان تكون غايتها خير الانسان او اظهار الكمالات الربّانيّة

ولقد كان في ذكر الصفة الثانية غنى عن ذكر الصفة الثالثة ولكن صرّحت بها سدًّا لبعض ابواب الريب او المغالطة

وهنا محل للنظر في ما بين المعجزات والوحي وبين سنن الطبيعة والعلم من العلاقات .

يقولون ان المعجزات ضد العلم . ويتوهمون ان هذا المبدأ الذي يتدّونهُ راهنًا ييسّر لهم التمسك ببعض المذاهب التي لا يمكن من تديّنوا بالدين القويم ان يسلّم بها

أفالمعجزات اذًا ضد العلم ؟

وما هو العلم ؟

العلم ادراك الشيء بحقيقتهِ (عن مفردات الراغب) او هو « الاعتقاد الجازم المطابق للواقع » وربّما أُطلق العلم مجازًا على مجموع مسائل واصول كليّة تجمعها جهة واحدة كعلم النحو والعروض وعلم الطبيعة

والعلم الذي يجري عليهِ القول في بحثنا هذا هو لا شك علم الطبيعة اذ لا دخل فيهِ كما لا يغرب عنك لعلوم جمة كعلوم اللغة والخطابة . . .

اذًا علم الطبيعة هو ادراك الطبيعة بحقائقها وما ذاك الّا تيقن سننها ونظامها تيقنًا يطابق الواقع

فرجع القول اذًا الى هذا : هل بين المعجزات ونظام الطبيعة مخالفة يحق معها القول ان المعجزات ضد العلم

كل الجواهر فالعوامل الطبيعيّة تسير في عملها كما سبق لنا على خطط ثابتة وبحسب كيفيات لازمة لا تحيد عنها في شيء . فيكون بين السابق منها واللاحق بين المؤثر والمتأثر نسب وعلاقات اي سنن ونظام . يقوم بتحديدها وتقريرها وتعريفها علم الطبيعة على اقسامهِ وتشعُّباتهِ الى علم الهيئة وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الكيميا وعلم الاثقال الخ . وعلى هذا النسق ندرك ادراكًا أدقّ ذلك النظام الموجود في الطبيعة على أنواعهِ

قلت على أنواعهِ : اذ لا يخفى على متبصّر اننا حسب الجهة التي توجّه اليها لحظنا نرى ان في الكون نظامًا خاصًا ونظامًا عامًا ٬ وفوقهما نظامًا اعمّ واسمى

النظام الخاصّ هو الذي يُعهد في الاشياء مفردة بصرف النظر عن سواها . الحجر

من طبعهِ ونظامهِ ان ينحطَّ الى الاسافل. الجسم متى فارقتهُ النفس انحلّت قواه وانفرطت ذراتهُ وعاد ترابًا. الماء يسيل على منحدرهِ. القطب الكهربائي يجذب السلبيَّ ان كان ايجابيًا والايجابيَّ اذا كان سلبيًا. وهلمَّ جرًّا

النظام العامّ هو ذاك النظام البهي العجيب الذي تتأملهُ عينك اذ ترفع لحظك الى القبة الزرقاء او ترسلهُ على متّسع البحار ومخضرّ الربوع وشاسخ الجبال ومزدهر الآكام. ذاك النظام الناتج عن فعل وانفعال خلائق الله كلها بعضها في بعض ولبعض بتقتضى ما لها من القوى والعوامل والسنن الخاصَّة

امَّا النظام الاعمّ الاسمى فهو العلاقة اللازمة الموجودة بين تلك المخلوقات كلها منفردةً ومجملةً في فعلها وانفعالها وبين الباري تعالى الذي برأها ويدبرها بحكمة ويوجه فاعليَّتها الى ما قصد بها من تمجيد فاطرها ومالكها فتكون منقادةً لاوامرهِ في كلّ حال. ومن نظر في امر الطبيعة نظرًا محكمًا لا يمكنهُ اغفال هذا النظام لانهُ ناتج عن جوهر الطبيعة ذاتهِ ومن اغفل جوهريَّات الشيء لم يُحط بهِ علمًا

وان الطبيعة تجري مجراها حسب ما ينتج عن ذلك النظام الخاص والعام والاسمى من الفاعيل

اذًا علم الطبيعة الصادق — اللهمَّ ان لم تحصرهُ في علم خاص كعلم الطب او علم الكيميا — ان تنظر الى ذلك النظام الطبيعيّ في اطوارهِ الثلاثة. وان لم تفعل كان علمًا ناقصًا اذ لا يكون مطابقًا للواقع من كل وجه

وبعد هذا التمهيد يسهل علينا ان نرى الرأي الصائب في علاقات المعجزات مع الطبيعة ونظامها ومجرى سننها ثمَّ مع علم الطبيعة ذاته

المعجزة كما قلنا تخرق قوى كل مخلوق. اي لو كانت العوامل الطبيعيَّة تُركت تجري مجراها لما كان حصل ما احدثتهُ المعجزة او لكان حصل خلافهُ. فالمعجزة اذًا تخالف مجرى الطبيعة ونظامها

ولكن اي مخالفة واي نظام من تلك الثلاثة ؟

انها تخالف نظام الطبيعة. الماء من طبعهِ ان يسيل والمعجزة التي اجراها الرب على وليّهِ جعلت المياه تصعد وتتقهقر الى منابعها. لكن تلك المخالفة هي مخالفة الشذوذ عن القياس لا إلغاء النظام. على حدّ ما يحصل اذ يخالف ولي الامر شريعة من الشرائع لمَّا يعفي

احداً من بعض التوابع الشرعيَّة او يأمر امرًا يخرج عن حكم الدستور المعمول به في الدولة · والشرع باقٍ لم يُلغَ ولم يبطل منهُ · كذا في المعجزات

هل تخالف النظام العام ؟ كلّا ثمَّ كلّا

النظام العام قاعدتهُ العظمى وسنَّتهُ الاولى والحكم المعروف المقرَّر الذي تسير عليهِ العوامل كلها وبمقتضاهُ تجري الانفعالات كلها هو هذا : المفعول والتأثير الناتج عن فعل الفاعل الاضعف من جوهرهِ ولوازمهِ ان يعيقهُ او يغيرهُ عن وضعهِ فعل الفاعل الأقوى المعاكس متى كان · وهو المبدأ الذي نعمل بهِ ونختبرهُ في كلّ الاحوال . فلمَّا تحصل معجزة في الكون لا يحدث ادنى مخالفة للنظام العام لان حينئذٍ قوةً اعظم وفاعلاً اقوى هو الله ذاتهُ يكون قد عاق عن العمل فاعلاً ادنى واضعف اعني قوى طبيعيَّة مخلوقة او اخرجها عن عملها وتأثيرها المعهود · فلا يكون فعل الله في ذلك باكثر اخلالاً بالنظام العام من فعل القوى الحيويَّة بقوى الجماد او القوى الحيوانيَّة بقوى النبات

امَّا اذا اعتبرنا النظام الاعم والاسمى فان تجد في إحداث المعجزات الَّا ما يظهر سلطة العلي وخضوع الكون لارادتهِ الربَّانيَّة · وهذا ليس فيهِ الَّا اجلى تأييد واوضح دليل على ذلك النظام اللازم القائم على العلاقات الموجودة ولا بدَّ بين الخالق والمخلوق :

سل عنهُ دارات الوجود فانها تدعوهُ معبودًا لهُ وربَّا

تجري الرياح على اختلاف هبوبها عن اذنهِ والفُلْكُ والانواءُ

وعليهِ فان تبصَّرتَ في ذلك كلهِ ونظرت الى نظام الكون كلهِ في كل أطوارهِ واحكامهِ ترى ان المعجزات لا تضادّ بتاتًا والطبيعة وعلم الطبيعة وانما تخالفها في القليل وباعتبار جهة تكاد يحقّ ان يهملها الناظر · والاجدر ان يُقال انها بالعكس تنطبق على نظام الكون كل الانطباق

نبذة من كتاب مبادئ اللغة

لابي عبد الله محمَّد الاسكافي

هذه النبذة اقتطفها حضرة الشيخ محمود افندى شكري الآلوسي من كتاب قديم عزيز الوجود صنَّفهُ ابو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخطيب الاسكافي المتوفَّى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) . والكتاب المذكور من انفس كتب اللغة يحتوي على نحو ستين بابًا في مواضيع شتَّى اوَّلها باب ذكر السماء والكواكب ثمَّ باب سماء البروج والازمنة ثمَّ باب الليل والنهار ثمَّ باب صفة الحرّ والبرد وباب

الرياح وباب اسماء الرعد والبرق وباب المياه وباب الجبال الخ وغير ذلك مما يدلّ على انّ صاحب الكتاب من الائمّة المدودين . اما النسخة التي في ايدي الشيخ محمود افندي الآلوسي فهي من عهد المؤلف كُتبت سنة ٣٩٧ ﻫ (١٠٠٧م) ل . ش

(باب اللّجام)

(الشَّكيمةُ) الحديدةُ المعترضةُ في الفم . (والفأسُ) المنتصبةُ من الشكيمة . (والقَراشتانِ) جانبا الشكيمة . واليهما يُربَط العِذارانِ . (والخُطّافانِ والشاكلتان) حديدتان مُعقفتان للعنان . (والكلُّوبان) خرتان يُدخل فيهما طرفا العنانِ . (والحَكَمَةُ) التي تستدير حول الانف والحنك الاسفل . وهما حَكَمتان . (والمِسحلان) حديدتان تكتنفان الشدقين . والحديدة الواقعة على الصدغ (صُدغٌ) . (والطَّرَّاق) ما في اطراف السُّيور وقد يكون من فضّة . (والشَّكِل) لجام البغال . والجمع الأشكال . (ماتوره فارسيّتهُ) . وسُيور اللجام يقال لها (الأشلاء) . قال امرؤ القيس :

فقمنا بأشلاء اللجام ولم نَقُم الى غصن بانٍ ناضرٍ لم يُحرَّقِ

(ونضو) اللجام حدائده بلا سُيور . وفي الاشلاء (العِذاران) وهما يقعان على الخدّين . وموقعهما من الدابة (المُعذّر) . (والعِصاب) السير الذي على الجبهة . والجمع العُصُب . ويُقال لهُ (الجَبْهة) . (والقِلادة) السير الذي تحت لحيته . (والعِنان) السير الذي يقبض عليه الفارس . (والمَثناة) السير الذي يُثنى ويُجمع بين طرفيه . فيأتي بهِ العنان . (والمِقْوَد) السَّير الطويل الذي تُقاد به الدابّة . (والرَّسَن والمَثنى) ما يُرسن بهِ الدابة ويُشدّ . ويُقال لزمام البعير مَثناة . والحديدتان المدوّرتان كالفَلْسين اسفل من الاذنين (البَكرتان)

(ثمَّ السَّرج)

ويُقال للسرج (الرَّحْل والرِّحالة) . وسَرجٌ (قاتِرٌ) يَلزَم مكانهُ فلا يميل . وسَرجٌ (وَطيءٌ) وثيرٌ تحتَ راكبه . وسَرجٌ (واقٍ) لا يُدبِر الظَّهر . (ومِعقَرٌ) يعقره . (ومِلْحاحٌ) يعضّ الصُّلب . وسرج (مِرْكاحٌ) لا يزال يتأخّر . (والأحناء) جملة خشب السرج والواحد حِنْوٌ . (والقَرَبوسُ) الشاخصة في مقدّمهِ . (والمؤخّرة) الشاخصة وراء الراكب . (والظَّلِفات) اطرافُ الأحناء . (والدّفّتان) الخشبتان العريضتان تقعان على صفحة الدابّة . والفُرجة بينهما (البِداد) وقيل البِدادُ لِبدٌ يُشدُّ مبدودًا على الدابّة الدَّبِرة . (والجَديّتان) خشبتان تُشدّان على الدّفّتين من تحت . قال رؤبة :

كم يا ابنَ ايوبٍ جمعتَ شملي وقد نقضتْ جدَياتِ الرَّحلِ
وخفت نأيًا عن بلادِ الأصلِ

(والقادمة) ما امام حِنْو القَرَبوس مما يلي الكتفين. وفي السرج (الميثرةُ) وهي التي تُلقى عليهِ يوثَّر بها. وفوق الميثرة (الصُفَّة). (والغاشية) فوق الصفَّة (والذينة) من السرج والقتب. (والإكاف) مُقدَّمُ ملتقى الحنوَين وهو الذي يَعضُّ على منسج الدابَّة. (والتأسير والتاكيد) سيورٌ يوكَّد بها السرج ويؤسَر. (والسموط) معاليق سيرٍ تُعلَّق من مؤخرهِ. وفيهِ (الركابان) وهما اللذان يضع الراكب فيهما رجليهِ. (والإساقة) سير الركاب. وفي السرج (الرفادة) وهي الحَشِيَّة التي توضع تحت القَرَبوس فوق اللبد لئلا تعقِر الدابَّة السرج يقال: أرفد السرجَ. (واللَّبَبُ) السير الذي يطيف بالسرج يمنع السرج ان يتأخر تقول ألببتهُ فهو مُلبَبٌ. (والثفرُ) في موخر السرج يدخل تحت الذنب فيمنع السرج ان يتقدم. ومنهُ يقال اثفرتهُ. وفي السرج (الحزام) وهو الذي يُشدُّ بهِ السرج على ظهر الدابَّة وجمعهُ حُزُم. تقول حزمتُهُ فهو محزوم. وفيهِ (الإبزيم) وهو الحلقة في احد طرَفيهِ. قال العجَّاج:

يدقُّ ابزيمَ الحزام جُشَمُهْ

(والإطنابة) سَير الحزام فاذا لم يكن للسرج لببٌ ولا ثفر فهو أبتر. ومما يكون مع السرج (اللِّبدُ). تقول ألبدتُ الفرس والمُلبَد موضع اللبد من ظهر الدابَّة قال سلامة بن جندل:

من كلِّ حتٍّ اذا ما ابتلَّ ملبدُهُ ضافي الاديم أسيل الخدِّ يعبوبِ

(والمِرشحة) بطانة للبد تنشف العَرَق. وتقول ألجمتُ الدابَّة واسرجتهُ ونزعتُ لجامهُ وحططتُ سرجهُ. (وتوَدع الدابَّة) اذا أريد اراحتهُ عند النزول عنهُ. (والجِهاز) ما يوضع عليهِ السرج اذا حُطَّ. (والقُرطاطُ) برذعة تُلقى تحت السرج. ومما يكون بمنزلة السرج (الرَّحلُ) للبعير (والإكاف) للبغل والحمار. والقتب والرحل واحد. تقول أقتبتُ البعير ورحلتهُ. وعظمُ خشبِ الرحل بلا أداةٍ (جِلبٌ). وفي الرحل (الأحناءُ والجدَياتُ والواسطُ) بمنزلة القربوس من السرج. (والمورك) في مقدمهِ (والآخرة) بمنزلة الموخرة من السرج. والمورك في مقدَّمهِ حيث يثني الرجل ساقهُ عليهِ. (والغرز) من خشب بمنزلة الركاب قال الراعي:

وهي اذا قام في غرزها كمثل السفينة او أوقرُ

(والحِلسُ) كساء يلي ظهر البعير. (والشَّليلُ) مِسح يُلقى على عجزهِ. (والكفلُ) كساء يُثنى او خِرَقٌ تُجمع وتُلقى على عجز البعير لتكون مركب الردفِ على آخرةِ الرحل. (والبِطانُ) للرحل بمنزلة الحزام للدابَّة. واذا كان مضفورًا من سُيورٍ مضاعفًا عريضًا فهو (وَضِين). قال المثقِّب:

تقول اذا درأتُ لها وضيني   أهذا دينهُ ابدًا وديني

(والحقب) نِسعة تُشدّ على حَقْوي البعير لئلا يجلب التصديرُ الرحلَ. (والسِناف) للبعير بمنزلة اللَّبَب للدابة. وبعير مِسنافٌ يؤخّر الرحل ويصدّر السناف (بالصدار والتصدير) وهما حبل يصدّر بهِ لئلا يجرّ حملهُ الى خلفهِ. (والمِجارُ) خلاف الشّكال وهو حبل تُشدُّ بهِ يد البعير الى احدى رجليهِ. (والعِقال) ما تشدُّ بهِ يدُ البعير تقول عقلهُ بثِنايَين اذا شدَّهُ بحبل مثنًّى. (والعِران والخِشاش) خشبة في انف البعير. (والبُرَةُ) حلقة فيهِ. (والجديل والزمام) خيط مشدود الى العران. ويُقال (أحلس البعير وأحقبهُ وابراهُ وأقتبهُ وزمَّهُ وخشَّهُ وهَجَرهُ بالمجار واسنفهُ وصدّرهُ). واعرورى البعيرَ او الفرس ركبهُ عُريانًا

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

١ (مطبعة القديس جاورجيوس) ظهور فنّ الطباعة في بيروت في اواسط القرن الثامن عشر واوَّل مطبعة بها أُنشئت في دير القديس جاورجيوس. وكان القائم بهذا المشروع الجليل الروم الاورثدكس. فان هذه الطائفة لمّا رأت ما نجم من الفوائد بنشر المطبوعات الشويريَّة همَّت بمباراة الرهبان الحنَّاويين. وكان وقتئذٍ في بيروت رجلٌ واسع الثروة ذو بصيرة وحزم يُدعى الشيخ يونس نقولا الجبيلي المشهور بابي عسكر (١. فهذا المذكور

١) وللشيخ يونس ابي عسكر المذكور شهرة كبيرة عند الروم فانهُ هو الذي بنى كنيستهم سنة ١٧٦٤ ثمَّ خربت عند انتهائها ومات تحت ردمها كثيرون سنة ١٨٦٢ فجدَّد الشيخ يونس بناءها ونجز سنة ١٧٧٢. وكان المذكور نفوذ عظيم عند الجزَّار فوكل اليهِ نظارة ديوان (كمرك) بيروت وفوَّضهُ في تنظيم شرطتها. وبهِ دُعيت بعض ازقَّة البلدة المعروفة الى اليوم بمشيخة ابي

اخذ يجدُّ ويسعى في انشاء مطبعة تضاهي مطبعة الروم الكاثوليك فرسم حروفاً تشبه حروف الشوير بنضارتها واتقانها واتّخذ لها قوالب او امّهات فسكب حروفاً جديدة جعل الروم يطبعون عليها كتبهم الطقسية . واوّل ما نُشر في هذه المطبعة كتاب المزامير طُبع سنة ١٧٥١ وعدد صفحاته ٣٦٧ بقطع صغير وله مقدّمة في ٣٠ صفحة (١) . وقد اخبر الرحّالة سيتسن (Scetzen) أنّهُ صدر من المطبعة نفسها كتابان آخران طقسيّان هما السواعيّة والقنداق . وروى صاحب مجلة الهلال (١٧:٣ و ٢٥٣:٦) نقلاً عن المطران غريغوريوس اسقف طرابلس وما يليها للروم الارثذكس : « انّ في مكتب مطرانخانة الروم الارثذكس في بيروت كتاب تعليم مسيحي ومزامير يقال فيهما انهما طُبعا في مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثذكس سنة ١٧٥٣ بسعي الشيخ نقولا يونس الجبيلي (ابو عسكر) » . ولم يمكننا حتى الآن ان نتحقّق صحّة هذا القول . وفي خزانة كتبنا الشرقيّة كتاب المزامير اهدانا اياهُ بعض افاضل الروم لعلّهُ يرتقي الى هذه المطبعة المذكورة . لكنّهُ ينقص في طرفيهِ بعض صفحات فلم نتمكّن من معرفة تاريخهِ

وبقيت مطبعة القديس جاورجيوس بعد ذلك نحو مائة سنة لم يُطبع فيها كتاب يُذكر . وفي اواسط قرننا الحالي عاد اصحابها الى نشر الكتب الدينيّة . وجدنا بعضها في خزانة كتبنا الشرقيّة . منها كتاب كاتيشيس اي التعليم المسيحي طبع سنة ١٨٤٥ بامر المطران بنيامين (صفحاتهُ ٢٧٥ بقطع ١٢) وجواب انثيموس على رسالة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع الى الشرقيين (١٨٤٨) . وكتاب الاورولوجيون اي السواعي أُلحقت بهِ طروباريّات اعياد القديسين والبنديكستارين مع ثاوطوكيّات (اناشيد للعذراء) وقوانين شتى كقوانين الصليب والمطاليبي (المناولة) . وفي آخرهِ جدول الاعياد ومعرفة يوم وقوع عيد الفصح من سنة ١٨٥٠ الى ١٩٠١ (عدد صفحاته ما عدا المقدمة ٨٥٦ صفحة . طُبع سنة ١٨٤٩) . ومنها رسالة معلنة قبائح اللاتينيين (كذا) مؤلفة من كيريوس افجانيوس البلغري . طُبعت سنة ١٨٥٠ بزمان رئاسة المطران اياروثيوس (صفحاتها ٥٦) . وقد طُبعت في هذه المطبعة ايضاً مزامير داود والسواعيّة الصغيرة

عسكر . عند سوق الخضرة . وكانت وفاتهُ سنة ١٧٨٧ م ودفن قرب كنيسة الروم وقد وُجد قبره منذ زمن قليل فنقلت بقاياهُ الى الكنيسة الحديثة

١) راجع قائمة الكتب العربيّة لشنورر ص ٣٧٣ (Schnurrer: *Bibli. arabica*, n° 354)

والقنداق وغير ذلك مما لم نقف على فحواه. وهذه الكتب القديمة تمتاز بجلاء حروفها واطار صفحاتها العريض ذي النقوش البيضويّة الشكل. وكان المتولّي نظارة هذه المطبعة المرحوم فضل الله عازار امّا تصحيح مطبوعاتها فالمرحوم المعلّم يواني بابادو بولوس صاحب كُتيّب نخبة الآداب (المطبوع في المطبعة الوطنيّة سنة ١٨٦٧)

ولمّا كانت السنة ١٨٨١ وجد اصحاب مطبعة القديس جاورجيوس انّ ادواتها قاصرة عن الوفاء بالمقصود فأُهملت حروفها القديمة وجُلبت لها أدوات ومواد شتى وحروف جديدة من المصنوعات الاميركانيّة ونُظّمت لها ادارة عاملة ولجنة تدبير ونُشرت في ذلك لائحة سنة ١٨٨٢ مع مثال لاحرف المطبعة العربيّة والفرنجيّة

وقد طُبع في هذه المطبعة منذ ذلك العهد كتب عديدة منها دينيّة كالجزء الثاني من الميناون (سنة ١٨٨٦. وكان الجزء الاول طبع سابقًا في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٢) تعريب جناب الفاضل عبده افندي يني. ومختصر التعليم المسيحي للكاهن سبيريدون صرّوف (١٨٦٤) وغير ذلك. ومنها ادبيّة كخلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك لعبد الرحمان الاربلي (سنة ١٨٨٥. صفحاتهُ ٢٣٩) والعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب للشيخ ناصيف اليازجي (سنة ١٨٨٢). ومنها فكاهيّة كالباريسيّة الحسناء لاديب اسحاق. وديوان الفكاهة وهو مجموع في عدّة مجلدات كان يُقسم الى اربعة اقسام تُنشر فيها تباعًا روايات ادبيّة وحكايات غراميّة وسياحات كمجاهل افريقية وتواريخ كتاريخ هيرودوتس في جزءين تعريب حبيب افندي بسترس (١٨٨٦—١٨٨٧). وكان معرّب القسم الاكبر من ديوان الفكاهة المعلم شاكر افندي شقير اللبناني. وفي هذه المطبعة عينها طُبعت مجلة المدنيّة من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٨٨. ومن الكتب التي نرجح بانها نُشرت في هذه المطبعة كتابان مفيدان لمعرفة احوال طائفة الروم: الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية (اسبيريديون) سنة ١٨٩١ بقلم سليمان بن داود بن يونان الجهيني طُبعت بمطبعة الحيّ بن يقظان بالمحروسة سنة ١٨٩٢ (ص٢٥٦). والآخر هو «لمحة تاريخيّة في اخويّة القبر المقدس بقلم الشيخ عبد الاحد الشامي طُبعت بمطبعة سام بن نوح عليه السلام سنة ١٨٩٣» (ص١٤٠)

ومنذ سنتين قد بطلت مطبعة القديس جاورجيوس وبيعت أدواتها لجناب ابراهيم بك الاسود في بعبدا

٢ (المطبعة الاميركيّة) هي المطبعة الثانية التي ظهرت في بيروت. وكان مركزها اوّلًا في جزيرة مالطة. أُنشئت هنالك سنة ١٨٢٢ بعد ان صارت هذه الجزيرة تحت حكم الانكليز. وتولّى نظارة مطبوعاتها العربية واصلاحها فارس الشدياق الشهير. وبلغ عدد هذه المطبوعات نحو عشرين كتابًا دونك اسماء ما نعرفهُ منها حسب تواريخها:

١ً سؤالات واجوبة ونصائح في حسن العبادة (سنة ١٨٢٦. صفحاتهُ ٢١٠) — ٢ً امثال ربّنا يسوع المسيح (سنة ١٨٢٨ ثم ١٨٤٠ صفحاتهُ ١٨١) — ٣ً الكتر المختار في اكتشاف الارضي (كذا) والبحار (١٨٣٣. ص ١٦٤) — ٤ً الدرّ الملضوم — ٥ً تواريخ الكتب المقدّسة — ٦ً تاريخ العالم (وهذه الكتب الثلثة لا نعلم تاريخها) — ٧ً البرهان الصريح في حقيقة سرّي دين المسيح وهما التثليث والتجسّد الالهي للشماس عبد الله زاخر نقلًا عن الطبعة الشويريّة (سنة ١٨٣٤. صفحاتهُ ١٢٧) — ٨ً بحث المطالب في علم العربية للحبر الجليل المطران جرمانوس فرحات في وجهه الاول نقوش هيروغليفية (١٨٣٦. ص ٣١٧) — ٩ً الباكورة الشهيّة في نحو اللغة الانكليزية لفارس الشدياق (١٨٣٦. ص ١٠٤) — ١٠ً تاريخ كنيسة المسيح (١٨٣٩. ص ٣٤٩) — ١١ً كتاب اللفيف في كلّ معنى ظريف للشدياق (١٨٣٩. ص ٢٩٩. ثم جدّد طبعهُ في مطبعة الجوائب) — ١٢ً كتاب المحاورة الانسيّة في اللغتين العربيّة والانكليزية لهُ (١٨٤٠. ص ١٨٨) — ١٣ً البيّنة الجليّة في صحّة الديانة النصرانية للاستاذ كيث (Keith) طُبع سنة ١٨٤٠ (صفحاتهُ ٢٨٥) — ١٤ً قصّة مرتينوس لوثاروس (١٨٤٠ ص ١٤٧) — ١٥ كتاب الاجوبة الجلية في الاصول النحويّة ملخّص عن بحث المطالب (١٨٤١. ص ١٢٣) — ١٦ً شرح حال الكنيسة بالايجاز (١٨٤١. ص ٢٨٨) — ١٧ً شرح طبائع الحيوان — الجزء الاول في ذوات الاربع والطيور لفارس الشدياق (١٨٤١. ص ٣٤٩) — ١٨ً المختصر في التعليم المسيحي — اسئلة واجوبة (١٨٤٢. ص ١٣٣) — ١٩ً فصل الخطاب في الوعظ للسيد جرمانوس فرحات. وفي آخره ثلاث مواعظ بروتستانية (١٨٤٢. ص ٣٢٣)

فيظهر من هذا الجدول ان المطبعة الاميركية اشتغلت في مالطة نحو عشرين سنة. وكان نقلها الى بيروت سنة ١٨٣٤. غير انهُ يؤخذ من القائمة التي ذكرناها آنفًا ان قسمًا من ادواتها بقي في مالطة على الاقلّ الى سنة ١٨٤٢

وكان الساعي في نقل المطبعة الاميركية الى بيروت احد المرسلين الاميركيين البروتستانت يدعى عالي سميث. فهذا المذكور أُرسل اولًا الى مالطة وتولى نظارة مطبعتها لكنّهُ اذ لم يكن عالمًا بالعربيّة قدم بيروت سنة ١٨٢٧ ليدرس هذه اللغة العربية. ثمّ عاد الى مالطة وتجوّل في بلاد عديدة حتى انثنى راجعًا الى بيروت فسكنها سنة ١٨٣٣ وهمّ في نقل مطبعة مالطة اليها لما وجدهُ فيها من الرجال المتضلعين بالعربية القادرين على مساعدته فكان نقل المطبعة اليها سنة ١٨٣٤ كما مرَّ

وقد طُبع في بيروت بالحرف المالطي كتب قليلة لم نعرف منها سوى كتابين فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب للشيخ ناصيف اليازجي طُبع سنة ١٨٣٦ (صفحاتهُ ١٦٨) . وكرَّاسة في التعاليم البروتستانيَّة تدعى «صورة الايمان القويم على موجب الانجيل الكريم» (١٨٣٨ . ص ٦٠) . وفي سنة ١٨٣٨ صحب عالي سميث الرحَّالةَ ادورد روبنصن في زيارة الاراضي المقدَّسة ثم رحل الى ليبسيك وفيها سبك حروفًا عربيَّة جديدة نقلًا عن احسن خطوط كتبة زمانهِ في الاستانة العليَّة فصنع لاجسامها المختلفة نحو ١٥٠٠ قالب غاية في الاتقان وساعدهُ على ذلك رجل اميركيّ حاذق يدعى المستر هالك

ومنذ ذاك الوقت دخلت المطبعة الاميركيَّة في طور جديد . وصار لحروفها صيت طيّب لنضارتها وحسن صورتها فعُرفت في بلادنا بالحروف الاميركية . ثمَّ مات عالي سميث في ١١ كانون الثاني ١٨٥٧ فتولى ادارة المطبعة الدكتور كورنيليوس ڤان دَيك وكان رجلًا مقدامًا على العمل فاهتمَّ بتحسين ادوات المطبعة وزاد الحركات على الحروف وجلب لها الآلات البخاريَّة حتى صارت من احسن المطابع الشرقيَّة الى يومنا هذا

امَّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة فعديدة نذكر منها ما نرى في ذكرهِ افادة لجمهور الادباء ونقسّم ذلك الى ابوابٍ لمزيد الايضاح

١ (الكتاب المقدَّس) تعريب الدكتورين عالي سميث وكرنيليوس ڤان ديك بمساعدة المعلّمين بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير الازهريّ . نُقل العهد القديم عن العبرانية والعهد الجديد عن اليونانية . وقد أُهملت في هذه الترجمة اسفار العهد القديم اليونانية كما انهُ عُرّبت بعض الآيات خلافًا لتعاليم الكنيسة . وكان النجاز من طبع هذه الترجمة في غاية آذار سنة ١٨٦٥ . غير ان العهد الجديد كان تمَّ طبعهُ قبل ذلك في آذار سنة ١٨٦٠ . ولاصحاب المطبعة الاميركية طبعات عديدة من التوراة او اقسام منها وهي مختلفة الحجم وجنس الحروف لا حاجة الى تعدادها

وممَّا يلحق بالكتاب المقدَّس: ١ً فهرس كلمات الكتاب المقدَّس للدكتور ج . پوست (١٨٧٣ . ص ٧٠٤) . — ٢ً قاموس الكتاب المقدَّس لهُ (الجزء الاول ١٨٩٤ . ص ٦٥٥ . الثاني تحت الطبع) — ٣ً مرشد الطالبين الى الكتاب المقدَّس الثمين للدكتور س . كلهون (١٨٦٩ . ص ٦٤٨) — ٤ً الكنز الجليل في تفسير الانجيل جزءان (ص ٥٦٧ و ٥٧١) للدكتور وليم ادي — ٥ً تفسير اعمال الرسل والرسائل ثلثة اجزاء لهُ (٥٩٠ و ٥٦٩ و ٢٣٦) — ٦ً تفسير رسالة العبرانيين للدكتور ي . ورتبات (ص ٣٠٧) — ٧ً دليل الصواب الى صدق الكتاب لهُ (١٨٥١ . ص ٢٥٧) — ٨ً القواعد السنيَّة في تفسير الاسفار الالهيَّة للدكتور ج . انس (١٨٨٠ . ص ٤٧٤) — ٩ً جدول تاريخي للعهد القديم لهُ — ١٠ً اصداء التوراة للاسقف والش ترجمة اسعد افندي شدودي (١٨٩٠ . ص ٢٠٣) . واكثر هذه الكتب مع ما

فيها من الفوائد لا تخلو من المناز ولا يجوز للكاثوليك ان يطالعوها بدون رخصة رؤسائهم

٢ (الكتب الدينية) يبلغ عدد الكتب الدينيَّة التي طُبعت في المطبعة الاميركيَّة ما خلا الكتاب المقدَّس ومتعلّقاته نحو ٤٠٠ كتاب او كراسة لا حاجة الى ذكرها وفي اكثرها طعنٌ على الكنيسة الكاثوليكيَّة. وقد فنَّد الكاثوليك هذه التهم مرارًا عديدة وازالوا ما فيها من الشبهات. وبين هذه المطبوعات ما لا بأس منهُ مثل كتاب شهادة التاريخ الى لاهوت المسيح للدكتور يُنك (١٨٩٠ ص. ٢٠٩) وكتاب الدكتور كيث «البيّنة الجليَّة على صحَّة دين النصرانية» (١٨٩٣.ص١١١). واطول من هذا «الادلَّة السنيَّة على صدق اصول الديانة النصرانية» (١٨٧٧ ص ٣٨٣). وبين هذه الكتب ما حُرّف عن اصله الكاثوليكي مثل «كتاب الاقتداء بالمسيح» (١٨٤٢ و ١٨٧٩) وقد حُذف منهُ كلُّ ما يشهد على صحَّة الدين الكاثوليكي

٣ (الكتب التاريخية) ١ اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنُّوس الشدياق (١٨٥٩ ص ٧٢٠) — ٢ النهج القويم في التاريخ القديم للاستاذ ه. پورتر (١٨٨٤. ص ٥٩٨) — ٣ قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا افندي ابكاريوس (٧١٧. ص ٨٢٩) وفيهِ فصول لا يسلّم بصحَّتها الكاثوليك — ٤ الروضة الغنَّاء في تاريخ دمشق الفيحاء لنعمان افندي قساطلي (١٨٧٩. ص ١٦٢) — ٥ سواء السبيل في سكّان ارض النيل للدكتور و. بدج (١٨٨٨. ص ١٣٣) — ٦ سِيَر الابطال والعظماء (١٨٨٣. ص١٨٤) — ٧ صنّاجة الطرب في تقدُّمات العرب لنوفل افندي نوفل (ص ٤٦٤) — ٨ تاريخ يوسيفوس (١٨٧٣. ص ٣٢٤) — ٩ الدرّ النظيم في التاريخ القديم للمعلّم ا. سركيس (١٨٧٥. ص ١٤٣) — ١٠ وتاريخ اليونان لجرجي د. سرسق (١٨٧٦. ص ٢٢٦) — ١١ وتاريخان للمكتبة مطوّل لموسهيم (١٨٧٥. ص ٨٥٣) وقصير (ص ٢٧٩) عرَّبهُ يوحنا ابكاريوس وفي كليهما قذف على الكنيسة الكاثوليكيَّة الخ

٤ (كتب لغويَّة وقواميس) ١ الاجروميَّة (١٨٤١) — ٢ فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي مع شروح عليهِ (١٨٦٦. ص ٢٥٤ ثم تكرَّر طبعهُ مرارًا) — ٣ نار القرى في شرح جوف الفرا لهُ (١٨٦٣. ص ٢٨٩) — ٤ مختصرهُ لولده الشيخ ابراهيم (١٨٨٢. ص ٢٩٦) — ٥ مصباح الطالب في بحث المطالب للمعلّم بطرس البستاني (١٨٥٤. ص ٤٢٥) — ٦ مفتاح المصباح في الصرف والنحو لهُ (١٨٦٢. ص ١٤٤ و ١٨٦٧. ص ٣٥٩) — ٧ وقاموس محيط المحيط جزءان (١٨٦٧—١٨٧٠) ومختصر قطر المحيط لهُ (١٨٦٧—١٨٦٩) — ٨ مجموع الادب في فنون العرب مجموعة في المعاني والبيان والبديع والعروض للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٥. ص ٢١٤. ثمَّ كُرِّر طبعهُ)

٥ (كتب فلسفيَّة) ١ الدروس الاوَّليَّة في الفلسفة العقليَّة للدكتور د. باس (١٨٧٤. ص١٧٦) — ٢ نفي النشوء والارتقاء اي ابطال مذهب دروين للمعلّم ابراهيم الحوراني (١٨٤٤. ص٣٥) — ٣ الحقّ اليقين في الردّ على دروين لهُ (١٨٨٦. ص١٥٦) — وكتاب قطب الصناعة في اصول المنطق للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٧. ص٤٨)

٦ (كتب رياضيَّة) ١ الروضة الزهريَّة في الاصول الجبريَّة ترجمة الدكتور فان ديك (١٨٥٣. ص ٢٥١ ثمَّ كُرِّر طبعهُ) — ٢ الاصول الهندسيَّة يشتمل على كُتب اقليدس الستَّة

تعريبهُ (١٨٥٧ . ص ٣١٢) — ٣ الانساب ومساحة المثلثات لهُ (١٨٧٣ . ص ٣٥٢ و ١٥٦) ٤ كشف الحجاب في علم الحساب للمعلم ب . البستاني (١٨٤٨ . ص ٣١٧ و ١٨٥٩ . ص ٣٥٨ و ١٨٨٥ . ص ٤١٤) — ٥ مبادئ الجبر لداود افندي الحاج — ٦ مصباح الكاتب ودليل الحاسب (١٨٨٦ . ص ١٢٠)

٧ (كتب جغرافيَّة) ١ الخلاصة الصافية في اصول الجغرافية ١٨٥٨ . ص ٣١٨ و ١٨٦٨ ص ٢٥٢ طبعة الثالثة ١٨٩٢ ص ٣١٩) — ٢ المرآة الوضيَّة في الكرة الارضيَّة للدكتور ڤان ديك (١٨٥٢ . ص ٥٠٢) — مبادئ الجغرافية لداود افندي الحاج — اطلسات وخرائط شتَّى

٨ (كتب الهيئة والظواهر الجوّيَّة) ١ اصول الهيئة للدكتور ڤان ديك (١٨٧٤ . ص ٢٨٨) — ٢ ارواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء لهُ (١٨٩٣ . ص ٢٣٩) — ٣ مبادئ علم الهيئة لاليزا اڤرت (١٨٧٥ . ص ١٧٤) — ٤ الظواهر الجوّيَّة اي علم المتيورولوجيا للدكتور لويس تعريب فارس نمر (١٨٧٦ . ص ٢٤٠)

٩ (كتب الطبيعيَّات والكيميا) ١ العروس البديعة في علم الطبيعة للمعلم اسعد شدودي (١٨٧٧ . ص ٥٩١) — ٢ الدروس الاوليَّة في الفلسفة الطبيعيَّة للعلاَّمة ا . تكلكسن (١٨٨١ . ص ٤٢٨) — ٣ اصول الكيميا للدكتور ڤان ديك (ص ٣٢٠) — ٤ التحليل الكيمي للدكتور ا . لويس (١٨٧٦ . ص ٢٢٠) — ٥ كيميا الهواء والماء لهُ (١٨٧٩ . ص ١٠٤) — الكواشف الجليَّة عن الحقائق الكيميا (١٨٨٣ . ص ١٦٠ . لم يكمل)

١٠ (النبات والحيوان) ١ نبات سوريَّة وفلسطين والقطر المصري للدكتور ج . پوست الجلد الاول (١٨٨٤ . ص ٤١٩) — ٢ غيره بالانكليزيَّة اوسع (ص ٩٢٠) — ٣ نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات لهُ (الجزء الاول ١٨٦٩ . ص ١٤٤ الثاني ١٨٨٢ . ص ٩٦) — ٤ نباهة الحيوان . عرَّبهُ س . ط . (١٨٩٠ . ص ٢٥٠)

١١ (الكتب الطبيَّة والجراحيَّة) ١ مبادئ التشريح والهيجين والفيسيولوجيا للدكتور ج . پوست (١٨٧٠ . ص ١٨٧) — ٢ المصباح الوضَّاح في صناعة الجرَّاح لهُ (١٨٧٣ . ص ٨٠١) ٣ اصول التشخيص الطبيّ للدكتور ڤان ديك (١٨٧٤ . ص ١٢٨) — ٤ كتاب التوضيح في اصول التشريح للدكتور ي . ورتبات (ص ٤٧٢) مع اطلس ذي ثماني خارطات في التشريح ٥ كتاب اصول الفيسيولوجيا لهُ (١٨٧٧ . ص ٥٦٣) — ٦ كفاية العوامّ في حفظ الصحة وتدبير الاسقام لهُ (١٨٨١ . ص ٢٩٠) — ٧ الاقراباذين او الموادّ الطبيَّة للدكتور ج . پوست (١٨٨٢ . ص ٣١٢) — ٨ طبّ الحيوان لجرجس افندي طنوس عون (١٨٨٤ . ص ٤٢٨) — ٩ رسالة ابي بكر بن زكريَّا الرازيّ في الجدري والحصبة (١٨٧٢ . ص ١١٢)

١٢ (كتب ادبيَّة وشعريَّة) ١ مجمع البحرَين للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٦ . ص ٤٣٢) . ثمَّ اعيد طبع هذه المقامات مرارًا في مطبعتنا الكاثوليكيَّة — ٢ نبذة من ديوانهِ (١٨٥٣ . ص ١٢٨) — ٣ ثالث القمرين من نظمهِ (١٨٨٣) . ص ١٤٨) — ٤ زهر الرُّبى في شعر الصبا لخليل افندي الخوري (١٨٥٧ . ص ٩٤) — ٥ اشعر الشعر نظم رزق الله حسُّون (١٨٧٠ ص ١٣٩) — ٦ ديوان الفارض مع شرحهِ — ٧ نزهة الافكار في اطايب الاشعار للمعلّم

ابراهيم سركيس (١٨٨١. ص ٢٦٠) — ٨ً مقامات الحريري (١٨٧٣. ثمَّ كُرّر طبعهُ في المطبعة الادبيَّة) — ٩ً النفائس لتلامذة المدارس جمع الدكتور ڤان ديك (١٨٨٢ و ١٨٨٦. ص ٢٨٠) — ١٠ً كليلة ودمنة — ١١ً الدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة لابراهيم سركيس (١٨٧١. ص ١٧٢)

١٣ً (عامَّة شتَّى) ١ً زبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل افندي نوفل (١٨٧٤. ص ٣٤٧) — ٢ً سوسنة سليمان في اصول العقائد والاديان لهُ (١٨٧٦. ص ٢٥٥) — ٣ً سياحة المعارف لهُ (١٨٧٩. ص ٥٥٩) — ٤ً الدرّ المكنون في الصنائع والفنون لجرجس عون افندي طنوس عون (١٨٨٠. ثمَّ جدّد طبعهُ في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٥ م) — ٥ً سر النجاح لصموئيل صميلز (١٨٨٠. ص ٣٥٤) — ٦ً الآيات البيّنات في غرائب الارض السماوات للمعلّم ابراهيم الحوراني (١٨٨٣. ص ١٦١) — ٧ً عجائب البحر وتماصيلهُ التجاريَّة للعلّامة سموندس عرَّبهُ ج. بني (١٨٩١ ص ٤٦٣) — ٨ً قلائد النحر في غرائب البرّ والبحر لسليم افندي كسّاب (١٧٩٢ جزءان ص٢٧٥ و ١٤٤) — ٩ً رجال التلغراف ترجمة ابراهيم افندي الحوراني (١٨٩٥. ص ٣٠٤) — ١٠ً الروض النضير للولد الصغير جمع الدكتور ه. جسب (١٨٨١. ص ١٨٥)

١٤ (لغات ومجلَّات) ١ قاموس عربي وانكليزي مطوَّل للدكتور يوحنا ورتبات وهارڤي بورتر — ٢ً آخر مختصر لما عربي وانكليزي وعربي — ٣ً قاموس اخر عربي وانكليزي لسليم كساب وجرجس همام — ٤ً قاموس مطوَّل انكليزي وعربي ليوحنا افندي ابكاريوس ومختصرهُ — ٥ً الهدية الشرقيَّة لطلبة اللغة الانكليزيَّة لقسطنطين افندي الخوري (١٨٨١. ص ٢٨٦ ثمَّ كُرّر طبعهُ) — ٦ً مرشد المتعلّم فرنساوي وعربي جزءان لجرجس افندي نوفل — مرشد المتكلّم تركي وعربي لهُ — ٧ً النشرة الاسبوعيَّة (أُنشأت سنة ١٨٧١) — ٨ً الطبيب (١٨٨١)

هذا ما رأينا اثباتهُ من مطبوعات المطبعة الاميركيَّة ولا نجهل ان لها كتبًا اخرى كروايات وقصص وكراريس ممَّا يطول شرحهُ وليس تحتهُ كبير امر لفائدة الادباء. وقد وعدنا جناب الدكتور ه. جسب ببعض افادات عن المطبعة المذكورة نثبتها عند ورودها (ستأتي البقيَّة)

ايضاح بعض المشاكل الدينية

للاب لويس شيخو اليسوعي

عُرضت على ادارة المشرق عدَّة مشاكل من بجنّس لحضرة الخوري موسى ميلان الخوري ومن عين سعادة لحضرة الخوري بطرس صعيب البجاني ومن دير القمر لحضرة القس نعمة الله الشهابي الحلبي ومن عندقت لجناب المعلّم ابراهيم عبد الجليل ومن القاهرة لجناب ر. ن. ومن بيروت لجناب نقولا الخوري. فرأينا ان نجيب على هذه

الاسئلة في مقالة مفردة تحت عنوان ايضاح بعض المشاكل الدينيّة وقسمناها الى بابين المشاكل الكتابيّة والمشاكل اللاهوتيّة

١: مشاكل كتابيّة

١ (سؤال) قد اثبت الفلكيون انَّ الارض دائرة والشمس والقمر ثابتان فكيف ينطبق ذلك مع ما ورد في الاسفار الالهيَّة عن ثبوت الارض ودوران الشمس والقمر (ارميا ٣٣: ٢٠-٢١): «هكذا قال الرب ان امكن ان تنقضوا عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتَّى لا يكون الليل ولا النهار في اوانهما يمكن ايضاً ان يُنقض عهدي مع داود . . » وفي سفر يشوع (١٠: ١٢) «فقال (يشوع) على مشهد اسرائيل يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي ايَّالون فوقفت الشمس وثبت القمر . . . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تمِل للمغيب مدَّة يوم كامل». ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٤٦: ٥) وفي بعض ميامر القديس افرام ان يشوع منع الشمس والقمر عن سيرهما. وجاء في سفر الجامعة (١: ٤٢): «جيل يمضي وجيل يأتي والارض قائمة مدى الدهر والشمس تشرق والشمس تغرب ثمَّ تسرع الى موضعها الذي طلعت منهُ»

(جواب) قد بيَّن حضرة الاب غ. زموفن في المشرق (١: ٢٦٤) ببراهين دامغة انَّ الارض ليست بثابتة تدور حولها الكواكب وانَّما الامر بعكس ذلك اعني انَّ الارض هي التي تدور على محورها فليُراجع. ولا ننكر انَّ للكواكب والشمس ايضاً حركةً خاصَّة كما بيَّن ذلك العلماء. لكن السائل وَهم اذ ظنَّ انَّ الفلكيين يقولون بثبوت القمر فانَّ للقمر حركاتٍ مختلفة من جملتها دورانهُ حول الارض (المشرق ٣: ٢٢٦). امَّا النصوص الكتابيَّة التي استند اليها السائل فانها كلها محمولةٌ على الظواهر وفقاً للكلام الجاري بين الناس. فان الاسفار المقدَّسة ليست كتباً علميَّة غايتها شرح نواميس الطبيعة وانَّما غايتها اسمى من ذلك وهي تهذيب النفوس وارشادها الى الخلاص فان ورد فيها شيء من الحقائق العلميَّة فذلك لسياق الكلام يعرضها الروح القدس للبشر على صورة تقرّبها الى فهم الجمهور وبالطريقة الشائعة عند القرّاء دون ان يجزم بصحَّتها او بطلانها. ولنا شاهدٌ حسّي على ذلك في كلام العلماء انفسهم فانَّهم اذا خرجوا من مدارسهم الرسميَّة وحادثوا الناس يقولون مثلهم: «طلعت الشمس واستوت في كبد السماء ومالت الى الغروب» وهلمَّ جرًّا مع علمهم انَّ الشمس ثابتة وان الدوران هو للارض. وزد على ذلك انَّ آية ارميا لا تُشعر بثبوت الارض او دورانها لانَّ الليل والنهار يأْتيان في اوانهما سواءٌ دارت الشمس ام دارت الارض على محورها. وكذا آية سفر الجامعة لا يؤْخذ منها ان الارض ثابتة لا تدور وانَّما المعنى ان الارض باقية على حالها مع كرور

الدهور وتوالي الأيام . امَّا المعجزة التي صنعها يشوع بن نون فيمكن تطبيقها مع تعليم العلماء بطرائق شتى امَّا بان يُقال انَّ الله أوقف الارض لا الشمس وان كانت الشمس هي في الظاهر الموقفة وانَّ يشوع اليها وجَّه خطابهُ لوهمهِ انهـا هي الدائرة لا الارض او لحمله كلامهُ على ظنّ اهل زمانهِ . وامَّا بان يُقال انَّ الله لم يوقف لا الشمس ولا الارض وانَّما عكس فقط نور الشمس ليبقى ضوؤها في السماء وان كان جرمها غائبًا عن العيـان كما يحدث ذلك في عدَّة ظواهر جوّيَّة . ويجوز ايضًا ان يقال انَّ الله احدث نورًا خارق العادة يقوم مقام نور الشمس والقمر . فهذه اجوبة مختلفة كافية لحلّ هذا المشكل . ثمَّ لا بأس من القول بان القديس افرام كان يرتأي كاهل زمانهِ انَّ الارض ثابتة والشمس والكواكب دائرة . وللآباء القديسين اغلاط مثل هذه تبعوا فيها اوهام عصرهم

٢ (سؤال) ما هي هذه المرأة ذات تابعة التي استشارهـا شاول (١ ملوك ٢٧ :٩–١٧) وكيف امكنها ان تُصعد صموئيل لشاول ؟ وابن كان صموئيل بعد موتهِ ؟ وكم كان مرَّ عليهِ من الزمان منذ وفاتهِ ؟ باي هيئة ظهر ؟ ما معنى قولهِ : لماذا اقلقتني واصعدتني ؟ هل تبقى النبوَّة بعـد الموت ؟ كيف يمكن ان يوجد بمحلّ واحد نبي كصموئيل واشقياء كشاول واولادهِ بحيث يصحّ قولهُ « وغدا تكونون معي » ؟

(جواب) التابعة في العربيَّة الجنّيَّة والمراد هنـا الشيطان . فتكون المرأة ذات التابعة هي الساحرة المتعلّقة بعدوّ البشر المعاهدة لهُ . — كيف امكن امرأةً ساحرة ان تُصعد نبيًّا جليلًا ؟ الجواب على هـذا انَّ الساحرة لم تقوَ على إصعادهِ بقوَّة سحرها بل باذنهِ تعالى الذي سنح انَّ السحر الذي التجأ اليهِ شاول رغمًا عن أوامر الله المشدَّدة يكون وبالًا عليهِ . والأولى ان يُقال ان السحر لم يكن « سببًا » لظهور صموئيـل بل « نهزة » انتهزها الربّ لينذر شاول بالشرّ القريب لعصيانهِ . ويؤيد ذلك ان المرأة الساحرة بعد ان رأت صموئيل تعجَّبت وارتعبت مع انَّ شاول كان طلب منها اصعادهُ — اين كان صموئيل بعد موتهِ ؟ كانت نفسهُ في موطن الابرار حيث كانت النفوس الصالحة تنتظر مجيء المسيح . وهو المكان الذي يدعى بمبوس تصحيف لمبوس (Limbes) — كم كان مرَّ من الزمان على صموئيل منذ وفاتهِ ؟ نحو ثلاث سنين — باي هيئة ظهر ؟ بالهيئة التي كان يُعرف بها في حياتهِ ليتمكّن شاول من معرفتهِ وتصديق كلامهِ — معنى قولهِ : « لماذا اقلقتني واصعدتني » هو التوبيخ والتقريع لشاول الذي اقلق راحة ميتٍ لم يعُد منذ يوم وفاتهِ يبالي بالامور العالميَّة ويكترث لصروف الدهر — امَّا النبوَّة فهي عادةً من

هبات الله تعالى للاحياء من اوليائهِ. ولكن يمكنهُ عزَّ وجلَّ ان يكل الى الملئكة والابرار القديسين من الاموات تبليغ امور الغيب الى من يشاء — امَّا المراد بقول صموئيل « غدًا تكونون معي » فمعناهُ انكم تكونون في عداد الاموات مثلي وليس المعنى انهم يحظون بنصيبٍ سعيد مثلهُ

٣ (سؤال) ما معنى الآية الواردة في اشيا (الفصل ٢٩ العدد ١١): « يناولون الكتاب لمن يعرف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانهُ مختوم ». وهل في هذا اشارة الى البتول العذراء وخطيبها القديس يوسف كما زعم البعض ؟

(جواب) راجعنا كلَّ الآباء والمفسّرين الذين يُعتمد عليهم في الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة في معنى هذه الآية الصحيح. فرأيناهم كلهم لسانًا واحدًا في القول انَّ الكلام في هذه الآية عن الانبياء الكذبة ويكفي لبيان ذلك ان تقرأ الآية السابقة قال النبي (ع ١٠): « انَّ الربَّ قد سكب عليكم روح سُبات واغمض عيون الانبياء منكم وحجب رؤوس الرائين (ع ١١) فصارت لكم رؤيا الجميع كأقوال كتاب مختوم يناولونهُ لمن يعرف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا استطيع لانهُ مختوم (ع ١٢) ثمَّ يُناوَل الكتاب الى من لا يعرف الكتابة ويُقال لهُ اقرأ هذا! فيقول لا اعرف الكتابة ». فليس في كل ذلك كما ترى ادنى اشارة الى البتول العذراء او الى خطيبها القديس يوسف امَّا قول البعض انَّ القديس يوحنَّا فم الذهب شرح هذه الآية عن مريم ويوسف فليس بصحيح لانَّ « كل المنتقدين » من كاثوليك وبروتستانت وإباحيين يرتأون ان الخطبة التي وردت فيها هذه الشهادة ليست لهُ يُستدلّ على ذلك من وجوه عديدة قال مُنفوكون العلامة الشهير: « ان في هذه العظة خرافات مضحكة واقاويل صبيانيَّة (ridicula et puerilia) لا يمكن نسبتها الى قديس عظيم كمثل القديس يوحنَّا فم الذهب ». وزد على ذلك انَّ انشاء هذه الخطبة يختلف عن انشاء خطب القديس يوحنَّا فم الذهب اختلافًا كليًّا (راجع المشرق ٣: ١٤٤)

٢ مشاكل لاهوتية

١ (سؤال) معلومٌ انَّ السيد المسيح صعد الى السماء بطبيعتي اللاهوت والناسوت فهل يمكن ان يتّحد مع الاب في الطبيعة الناسوتية مثلما يتّحد في اللاهوت حال كون طبيعة الآب لا تقبل الاختلاط بالناسوت. أفيكون اذًا المسيح منفصلًا عن الاب (كذا بالحرف)

(الجواب) يظهر من هذا السؤال ان السائل لم يميّز بين الاقنوم والطبيعة فانهُ لا ينتج من كون ناسوت المسيح غير متَّحد مع الآب انَّ المسيح منفصل عن الاب بجوهرهِ. لان في المسيح اقنوماً واحداً وهو الاقنوم الالهي الذي هو متَّحد تماماً بجوهرهِ مع الاب وان كان هذا الاقنوم الواحد قائماً في طبيعتين الهيَّة وانسانيَّة. وعليهِ فيجب القول انَّ المسيح باقنومهِ الوحيد متصل كلُّهُ بالآب ولكن من حيث هو إلهٌ لا من حيث هو انسان. مثال ذلك شعاع الشمس الملوَّن بنفوذهِ في زجاج احمر فانَّ تلوُّنهُ بالحمرة لا يمنع كونهُ كلهُ متَّصلاً بجرم الشمس كما كان قبل اجتيازهِ بالزجاجة الحمراء. ومثلهُ ايضاً كلمة المرء التي لا يمنعها اذا تكيَّفت بالصوت الحي ان تبقى كلها متصلة بعقل الانسان. فكذلك المسيح فانَّ اتخاذهُ للطبيعة البشريَّة لا ينفي كونهُ متحداً كلُّهُ اتحاداً جوهريًا بالآب من حيث هو إلهٌ لا من حيث هو انسان

هذا وفي سؤال السائل امور كثيرة تدلُّ على عدم ادراكهِ للتعاليم النصرانيَّة من ذلك قولهُ: «ان المسيح صعد الى السماء بطبيعة اللاهوت» لانَّ طبيعة اللاهوت هي الطبيعة الوحيدة التي في الاقانيم الثلثة لا يصيبها ادنى تغيير بتجسُّد الاقنوم الثاني. ومنها قولهُ: «ان المسيح يتَّحد مع الاب بالطبيعة الالهيَّة» لانَّ ليس للاب طبيعة الهيَّة مختلفة عن طبيعة الابن. بل هي الطبيعة ذاتها كاملة في كليهما وفي الروح القدس. ومنها قولهُ: «ان طبيعة الاب لا تقبل الاختلاط في الناسوت» فان كان مقصود السائل انَّ اقنوم الآب لا يمكنهُ ان يتَّحد بالطبيعة البشرية مباشرةً فرأْي اغلب العلماء عندنا ان الامر ممكن وان كان مقصودهُ انَّ الآب لا يتَّحد بناسوت الابن بالتوسُّط فالقول فاسد لانَّ الاتحاد صار مباشرةً بالاقنوم الثاني وبالتوسُّط صار ايضاً بالطبيعة الالهيَّة القائمة بالثلاثة الاقانيم. وعليهِ امكنَ المسيح ان يقول: انا والآب واحد

٣ (سؤال) كيف تتأَلون حكمة الخالق اذ خلق الانسان وسمح بخطيئتهِ فعاقبهُ عنها باخراجهِ من الجنة وجعلها ارثاً في نسلهِ وهو تعالى مع ذلك قادرٌ ان يمنعهُ باشارة او بمجرد الارادة

(جواب) لا ريبَ في ان الله كان يستطيع ان يمنع خطيئة الابوين الاوَّلين بمجرَّد ارادتهِ. ولكن تُرى اين حكمة الله بسماحهِ بالخطيئة وهو قادرٌ على منعها؟. نجيب (اولاً) اننا وان قصرنا عن ادراك حكمة الله في بعض اعمالهِ فليس ذلك سبباً لانكار هذه الحكمة لان عقل الانسان عاجز عن فهم صفاتهِ تعالى الغير المتناهية. (ثانياً) اننا

نعلّل هذه الحكمة الالهية بالغاية التي قصدها الخالق في خلقهِ العالم والانسان. والغاية المذكورة هي مجده تعالى. فان كان مجد الله يظهر جليًا بالتسامح بالخطيئة أفليس من الحكمة ان يطلق الحرّية للاسباب الثانويّة حتى اذا شردت وضلّت فلا يبقى لها وجه للنجاة يُظهر الخالق قوّة عينهِ بما لديهِ من الوسائط العجيبة فيعيد كلّ شيء الى نظامهِ.

(ثالثًا) ويزيد هذا البرهان قوّة اذ نرى ما ينتج من الخيرات للانسان بسماح الله بالخطيئة. منها انّ الانسان يمجد الله بمجدٍ اعظم اذا اختار الصلاح وهو مخيّر بين الشرّ والخير. كما ان الثواب لا يناله المرء الّا بقسر نفسهِ على الخير وردّها عن الشرّ وذلك ممّا يقتضي سماح الله بالخطيئة. وماذا نقول عن الخيرات العميمة التي شملت البشر بسرّ تجسّد ابن الله الذي أكسب العالم خيرًا فوق ما نالهُ من الشرور بكثير. ولولا سماح الله بالخطيئة لما ظهرت كلّ هذه الفوائد (راجع المشرق ٣ : ٩٤). قال القديس اوغسطينوس: « لولا ان الله قادر على صنع الخير حتى من الشرّ لما كان قطّ سمح بوجود الشرّ ». وقال القديس توما الاكويني: « ليس من الصواب ان نحكم على الباري حكمنا على المخلوقات التي يجب عليها منع الشرّ اذا كانت قادرة على ذلك لانّ الله عزّ وجلّ العلة الاولى فلمّا كان الكون كلهُ خاضعًا لهُ فقد يسمح بعروض نقص ما في بعض اجزاء الكون استبقاء لخير الكل فلولا قتل الحيوانات لم تكن حياة الاسد ولولا اضطهاد الظالمين لم يكن صبر الشهداء »

٣ (سؤال) اذا حكم الله على ميت تكفيرًا عن خطاياه بزمن معلوم من العذاب في المطهر هل نقوى صلوات الكنيسة والصدقات وتقدمة الذبيحة الطاهرة على تقصير هذا الاجل المحدود او تختفّف فقط عذاب الميت

(جواب) انّ صلوات الكنيسة والصدقات المقدّمة على نيّة الاموات ولاسيما ذبيحة القربان الاقدس تقوى ليس فقط على تخفيف عذاب الانفس المطهريّة بل ايضًا على تقصير زمن محنتها. ذلك امر لا ريب فيهِ يقرّ بصحتهِ جميع اللاهوتيين. لانّ الذي يقدر على تخفيف العذاب هو مقتدر ايضًا على تقصير حدوده. فالامر اذن منوط بارادتهِ تعالى الذي يقبل شفاعة كنيستهِ ومبرّات مؤمنيهِ متى شاء وكيف شاء مع مراعاة قضاء عدلهِ. ولعلّ السائل يظنّ انّ الله يغيّر حكمهُ بعد قضائهِ على الميت بعدة معلومة من العذاب فذلك وهمٌ لانّ الديان يسبق ويرى ما سوف تقدّمهُ كنيستهُ من الصلوات والذبائح لراحة الميت المذكور فيبرز حكمهُ وفقًا لما يراهُ سابقًا من هذه المبرّات

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق ص ٣٢ – ٣٩)

. الكتابة العربية الرابعة

(طولها نحو ٣٠ سنتيمترًا في ٤٠ س عرضًا)

هذه الكتابة كالسابقتين والتاليتين من هدايا حضرة الاب لامنس اليسوعي اخذ حديثًا رسمها الطبعي على الورق في بيت من بيوت بعلبكّ. ولا نرى حاجة الى التطويل في ايراد خواصّ هذا الاثر لشبهه الواضح بالكتابة العربيّة الثالثة (طالع صورتها في ما سبق (٣٨:٣) فكأنّ يدًا واحدة نقشتهما. ولذا لا نرتاب في ان تاريخ هذه قريب من تاريخ تلك ولو لم يبقَ على الحجر سوى بدء لفظة «السنة». اما مضمون الكتابة فكما يلي:

١ ؟.... تو[فـ]ي... ٢ حُسَين ابن ابو الحسَن... ٣ الــ ؟...اا[ر]ي رَحِمَهُ الا[له ورضيَ] ٤ عنهُ في رجب. ؟. سـ[نة]....

وليس في هذا النص شيء جدير بالذكر سوى غلطتَيه اعني بهما «ابن» و«ابو» وهما كثيرا الورود في الكتابات العربيّة على ما مرّ الاشارة اليه. وممّا نأسف لهُ عجزنا عن قراءة الكلمة الاولى في السطر الثالث وهي بلا مراء اسم منسوب كان من حقّه ان يطلعنا على مسقط رأس المتوفى او نسبه او غير ذلك من اطوار حياته. واما الالفاظ الاخرى التي لم نقدر على فكّ رموزها لسوء حال بقايا احرفها فنسلّم قراءتها الى حذاقة القارئ اللبيب

الكتابتان الخامسة والسادسة

رأينا ورأي الاب لامنس انّ لهاتين الكتابتين اهميّة معتبرة وقد اخذهما حضرتهُ برسم الطبع الجيد المتقن في مدينة حمص عن حجرين ضريحيَّين نُقلا اليها من تنورين (في قضاء الحصن). وكلا الحجرين على شكل جَمَلون (en dos d'âne) رُسم على احد جانبيه كتابةٌ ناتئة الاحرف يبلغ نتوها نحو نصف سنتيمتر. وطول الكتابة الخامسة ٥٢ س وطول السادسة ٥٩ س

ومضمون الكتابتين كامل لا ينقصهُ سوى نقطة في افتتاح الاولى:

(الكتابة الخامسة) — ١ً [تـ]ـف الي رحمت (عوض رحمة (١) الله علي ٢ً ابن محمد الكنوّزه ٣٢١

(الكتابة السادسة) — ١ً تفة (عوض تفت) الى رحمت (رحمة) الله ٢ً هدل بنت عصمن (عوض عثمن) ٣٢١

ولنا في هذا النصّ ملاحظات عديدة . نقول:

١ً لا ريب في ان الناقش لم يكن من ذوي المارف الواسعة فانهُ غلط في بعض المواضع كما رأيتَ . غير انَّ الاغلاط لا تخلو من فائدة في بعض الآونة فان كتابة « عصمن » عوض « عثمن » تخبرنا جليًّا ان اهالي بلاد الحصن كانوا يلفظون الثاء او بالحري السين صادًا في اسم عثمان في مطاوي القرن الرابع للهجرة . ولسنا نستغرب هذا اللفظ اولًا لان السين لا يمكن عادةً لفظها الخالص كلما يتقدَّمها حرف حلقي مُفخَّم كالعين المحركة بالضمّة . ثانيًا لان معاصرينا من اهل حمص وجوارها يلفظون نفس هذا العلَم كما كان يلفظهُ سلفاؤهم منذ الف سنة (٢

٢َ مما لا يفوت الخبيرين بالعاديات العربيَّة انَّ رسم تاريخ الهجرة بالارقام لا وجود لهُ في الكتابات العتيقة المكتشفة الى ايامنا هذه الَّا نادرًا (راجع CIA, p. 15, 120)

٣َ لا مرية ان خط الاثرين اللذين نحن بصددهما يُحسب من النسخي وان كان لهُ بعض الشبه بالكوفي القديم . وشكل الحروف اتقن في الكتابة الخامسة منهُ في السادسة حيث ترى فصلًا غريبًا بين النون والتاء في اسم بنت . وزد ان الناقش لم ينسَ شيئًا من نُقط الحروف المعجمة (٣ . وكل ذلك عزيز الوجود في الكتابات العربيَّة المعروفة الى هذه الغاية والمنتمية الى القرن الرابع للهجرة . لا بل نظنُّهُ واردًا هنا لاول مرةً (٤

---

١) ومثل هذا الغلط قد ورد في كتابة ميلٍ نصبهُ عبد الملك بن مروان في جوار القدس الشريف (راجع V. Berch.: *Inscripl. arab. de Syric* p. 419, pl. I)

٢) ان صاحب الكتابة هو الذي اشار الى هذا اللفظ لحضرة الاب لامنس

٣) لا يُحسب غلطًا وضع النقطتين تحت الياء في كلمة الى

٤) انما نرتأي هذا الراي لان العلامة فان بركم لم يذكر شيئًا من هذا الجنس في ما اطلعنا عليهِ من مجموعاتهِ النفيسة . لا بل اظهر رأيهُ جهرًا في عدَّة مواضع من تصانيفهِ المنيرة قائلًا ان الخط المعروف بالنسخي لا وجود لهُ في كتابات سوريَّة ومصر قبل القرن السادس للهجرة (طالع مثلًا *Inscripl. arab. de Syrie* p. 452-4. J A 1891² p. 69 seq.,)

٤ً بقي علينا ان نتكلّم عن اربع لفظات وردت في هاتين الكتابتين اي « الكنوزه وهدل وتف وتفة » . فنقول في :

(الكنوزه) انهُ لا شك في وجود الواو بعد النون في الكتابة وان لم تأتِ فيها واوٌ اخرى ترشدنا الى معرفة هيئتها الخصوصيّة الدقيقة. ولنا على صحّة رأينا دلالة واضحة في البياض الباقي في رأس الحرف. لكنّا لا نتجاسر على شرح معنى هذا اللقب المنقول عن صفةٍ رغمًا عن شيوع مادةً ك ن ز في لسان العرب. وما لا ريب فيهِ ايضاً ان الناقش لم يعجم الحرف الاخير بل رسم العلَم كما كان يُلفظ تمامًا اي « الكنوزَه »

(هدل) هو علم مؤنث لم نقف عليهِ في امهات اللغة القديمة. غير انهُ قد ورد في السيرة النبويّة (ص ١٣٥) . قال ابن هشام : « قال ابن اسحق وحدّثني عاصم بن عمر ابن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : قال لي هل تدري عمٍّ كان اسلام ثعلبة بن سَعية وأُسيد بن عُبيد نفرٍ من « هدَل » اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليّتهم .. » اه ولا يخفى ان اسماء القبائل كثيرًا ما تكون مؤنثة الجنس (١

(تف وتفة) لا حاجة الى القول بان التاء المربوطة هنا تنوب مناب الضمير المؤنث المتصل بفعل (تف) . لكن اي فعل أُريد رسمهُ ؟ نجيب ان كلمة توفي شائعة في لغة العرب عند ذكر موتاهم وهي كما لا يخفى ترِد تارةً على صيغة المتعدي اي توفّاهُ الله بمعنى قُبضت روحهُ وطورًا على صيغة المجهول اي تُوُفِيَ بالمعنى عينهِ . وكثيرًا ما يضاف الى المجهول « الى رحمة الله » فيكون المعنى « قُبضت روحهُ و نُقلت الى رحمة الله » وكل ذلك معروف يُستعمل في تصانيف العرب وكتابات مقابرهم . فلا شك اذًا انَّ الناقش لم يقصد الّا رسم تلك العبارة (٢ . وان ثبت ذلك فلم يبقَ لنا سوى الاختيار بين افتراضين : (الاول) ان يكون تف (او تفت) اختصار خطّي لفعل تُوُفي (اي تُوُفي او تَوَفّى حسب لفظه الدارج) . و (الثاني) ان يكون ذلك الفعل المرسوم في الكتابتين

١) قابل ايضاً علَماً آخر من عين هذا الاصل وهو « الهديل » بن ربيعة من ولد الحارث بن مالك بن نضر (Wüstenfeld : *Reg.* 195) . وان اخترتَ للعلَم الذي نحن بصدده مادة ه ذ ل (وهذا محتمل لموت لفظ حرف ذ الاصلي في افواه العامّة) فمن الراجح ان يكون العلَم هذَل اصل « هُذَيل » المصغّر المشهور

٢) لا محل هنا لفعل « تَفَّ » الذي معناهُ « بزق » . ولا اخال احدًا يرتأي ان تف هذه بالفعل تعل « تَفَّى » اي « تروَّج الرجل بثلاث نسوة » على ما هو مدوَّن في امهات اللغة



الكتابات العربية الرابعة والخامسة والسادسة

عين فعل تُوُفي كما كان يلفظهُ سكان بلاد الحصن في مبادئ القرن الرابع للهجرة. والرأي الاول هو رأي الابوين لويس شيخو وصالحاني. والثاني رأي الابوَين لامنس ويوسف تاَتي. امَّا نحن وان لم نستصعب التسليم بامكانيَّة صحَّة الافتراض الاول لما هو معروف

من ورود بعض اختصارات في تآليف العرب مثالها صلعم (صلى الله عليهِ وسلَّم) ورَح او رَحه (رَحِمَهُ الله تعالى) وغير ذلك فاننا مائلون الى الافتراض الثاني اكثر منَّا الى الاول. وذلك لاسبابٍ منها: ١ً لانَّ مثل الاختصار المذكور لم يُعثر عليهِ بعد في الكتابات الحجريَّة القديمة المكتشفة الى يومنا (١ ٢ً لانهُ لا داعي يجبرنا على القول بانَّ ناقش الكتابتين قصد حقيقةً حفر كلمة مختصرة بل نقول بالعكس ان العامّي من الكتَّاب لا يعمد الَّا نادرًا الى مثل هذا التصرُّف الخطّي اذ من المقرَّر انهُ يكتب عادةً اكثر ممَّا ينبغي ايرادهُ خوفًا منهُ على العجز عن ابداء فكرتهِ. ٣ً لانَّ لفظ فعل «تفْ» (اي تفَّى) عوضًا عن «توفَّ» (اي توفّى) لا نراهُ مستحيلًا لاسيما اذا قابلناهُ بما هو مشهور في هذه الديار السوريَّة من تصرُّف العوامّ بعبارة «بودّي» وتصييرهم ايَّاها «بدّي». فان اعتُرض علينا بانهُ لا يجوز مثل هذا الافتراض لورود فعل «تَفَّ» بمعنى «بزق» حتى في اللغة الدارجة. قلنا ان ذلك ليس بمانع. لاسيما في كلام العرب حيث تجد غالبًا معاني مختلفة بل متضادَّة في مادَّة واحدة. أفلا يحق لنا والحالة هذه ان نعتبر التصرُّف اللفظي الوارد في هاتين الكتابتين مثالًا جليًّا على ما طرأ على لغة العرب من التقلُّبات القديمة التي لا يقدر معها الاديب على تمييز حقيقة الاصول وسردها اليقينيّ تحت اجناس معانيها المتباينة. غير انهُ كيفما كان الامر في الكلمة التي نحن بصددها فلا مانع يمنعنا من ان نفترض لها لفظًا آخر يزول معهُ كل الالتباس وهو «تُفَ» لا «تَفَّ» فلعلَّ اهالي الحصن كانوا هكذا يميّزون بالحركة بين معنى «مات» ومعنى «بزق» ولا يبعد ذلك عن الصواب لما قد مرَّ بيانهُ من لفظ الكلمة «تُوفّي» عوضًا عن «تَوفّى» (٢

١) نكرر هنا ما قد ابديناه مرارًا باننا لا نملك كل المجموعات المحتوية على الكتابات العربيَّة التي نشرها العلماء في المشرق والمغرب

٢) ومما يؤيد هذا الرأي ان صيغة المجهول ولو كادت تتوارى عن افواه العامَّة فمع ذلك لا شك انَّها ابقت بعض آثارها لاسيما في تَلَفُّظ الذين حصلوا منهم على بعض الادب والتخرُّج كالناقش الذي تكلف صنع الكتابتين. ونزيد هنا ملاحظةً لا يليق بالاديب ان يهملها وهي اننا عند بحثنا عن الامور اللغويَّة المتعلّقة بلغاتنا من الآدميين قد اعتدنا ان نقابلها بما هو تحت الحسّ اليومي والتجربة الحالية. وهذه طريقة بديهيَّة لا مناص لنا من سلوكها. غير انهُ ما ادرانا تمامًا ما قد كان في افواه القدماء واذهانهم من العِلَل والاسباب التي حملتهم على انواع التصرف اللفظي واللغوي وغير ذلك مما لا نقدر الآن على فهمهِ وربَّما لن نتوصل ابدًا الى شرحهِ الوافي

هذا وقبل التخلّص الى الكتابة السابعة نستلفت ثانيةً انظار قرائنا الكرام الى عظم شأن هاتين الكتابتين في معرفة تقلُّبات الخط العربي وضبط قوانينه (١ فضلًا عمَّا اوردناهُ من فائدتها اللغويَّة. فمنها يتبيَّن جليًّا ضعف رأي العلماء الذين كانوا يظنون الى يومنا هذا ان الخط النسخي المعجم الحروف ظهر بغتةً في بلاد سوريَّة في غضون القرن السادس للهجرة (٢. غير انَّهُ لا عجب من زعمهم هذا فانهم لم يكونوا وقفوا على جميع العاديَّات العربيَّة المكنة في القرى الشاميَّة وبيوتات الاهالي الخصوصيَّة. وكنَّا قد أبدينا نظير هذا الرأي في شرح كتابتنا العربية الاولى عند بحثنا عن جهة دخول الكوفي المذيَّل الى القطر المصري وقلنا ان الاستنتاجات العامَّة لا تُقبل كقواعد مطَّردة ما دام مجهولًا قسمٌ معتبرٌ من آثار سوريَّة فها ان اكتشافات الاب لامنس تثبت اليوم صوابيَّة ملاحظاتنا السابقة

ولئلا يُنسب الينا بعض المبالغة والغلوّ في كلامنا هذا احببنا ان ننشر هنا سلفًا كتابةً ذات ٩ اسطر مرسومة على صفيحة ضريحيَّة نُبشت حديثًا في دير بيت خشبو القريب من غزير من اعمال كسروان. وقد أُرسلت نسخة منها الى بعض الاعيان من مسلمي بيروت وهم تكرَّموا بإحالتها الينا مع طلب قراءتها. فلبَّينا دعاءهم وقرأنا الكتابة على خلل نسختها. واذا هي كتابة من القلم الكوفي المذيَّل الحسن الشكل وتاريخها سنة ٣٢٤ للهجرة ليس الَّا. اليك مضمون هذا الاثر الجديد

١ً بسم الله الرحمن ٢ً الرحيم هذا القبر لعبد ٣ً القيم بن بركر (يزبكي ؟ (٣) بن محمد ابن ٤ً هويني (؟) يشهد ألَّا اله إلَّا الله ٥ً وان محمد عبده ورسوله صلى ٦ً الله عليه وسلّم .ات في شهر (؟) ٧ً رجب في سنة اربع وعشرين ٨ً وثلث مائة سنة (؟ ثانيةً) رحمهُ الله و ٩ً رضي عنهُ

واذا بلغنا الرسم الطبعي الذي طلبناهُ من صاحب الكتابة اشهرناه في مجلّتنا. والّا

(١ يعلم القراء اننا عند كلامنا عن الخطوط العربيَّة لا نقصد عادةً الَّا البحث عن الخطوط الموجودة في الكتابات الحجريَّة وغيرها لا الاشارة الى اقلام الصحف (راجع الحاشية الثانية في الصفحة ٣٣ من السنة الحالية)

(٢ V. Berchem : *Inscript. arab. de Syrie*, p. 455 ; JA 1891², p. 75

(٣ وانما فضَّلنا هذه القراءة على غيرها لشيوع هذا الاسم بين أُسَر جبل لبنان العريقة في القِدَم. وكذا قل عن اسم « هويني »

ففي النسخة التي بين ايدينا كفاية لاظهار الحقيقة

وعند الختام نريد ملاحظة اخرى وهي انَّ البحث عن الخطوط العربيَّة لا يتمّ ولا يجدي فائدة علميَّة الَّا اذا امكننا الاطلاع على ما هو مجهول من كتابات بلاد ما بين النهرَين والجزيرة وغير ذلك من الاقطار الشرقيَّة التي استولى عليها العرب في ممرّ الدهور . قال ابن خلدون في مقدمتهِ (طبعة باريس ٢ : ص ٣٤٣) :

« لمَّا جاء المُلك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكُتَّاب استعملوا الخط وطلبوا صناعتهُ وتعلَّموهُ وتداولوهُ فترقَّت الاجادة فيهِ واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبةً من الاتقان الَّا انها كانت دون الغاية . والخطّ الكوفي معروف الرسم لهذا العهد . ثم انتشرت العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والاندلس . واختطَّ بنو العباس بغداد وترقَّت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربيَّة . وخالفت اوضاعُ الخطّ ببغداد اوضاعَهُ بالكوفة في الميل الى اجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الاعصار الى ان رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير » (١

فوضوح هذا الكلام يُغنيهِ عن مزيد البيان وان لم يقصد المؤرخ الَّا الاخبار عن خطوط الصحف (٢ . فالمرجو اذًا من حضرات قرائنا الافاضل الساكنين في تلك الانحاء الشرقيَّة ان يتحفونا بما لديهم من الآثار العربيَّة ولهم الفضل

الكتابة العربية السابعة

عن متحف العاديات في كليَّتنا

لا حاجة الى الاسهاب في وصف هذا الاثر الجليل لوضوح الصورة التي اخذناها عنهُ . وهو من النحاس المزوَّق بالذهب والفضَّة يبلغ سمكهُ اكثر من ثلاثة مليمترات فيهِ نقوش من الورد ترى بينها ثلاث كتابات اولها كتابة الصورة . ومضمون جميعها كما يلي :

---

١) مات هذا الوزير سنة ٣٢٧ هـ . (طالع ترجمته في تراجم ابن خلكان) فترى من تاريخ موتهِ ان كتابتي تنورين نُقشتا في زمن التقلبات المذكورة في نصّ ابن خلدون

٢) بل نقول ان كلام صاحب المقدَّمة يليق بخطوط الكتابات اكثر منهُ بغيرها . فانَّ ما يذكرهُ عن ابن مقلة لا يُقبل الَّا بحصر المعنى على كُتَّاب ديوان الخلافة وغيرهم من موظفي الدولة العباسيَّة . لان الخط المعروف بالنسخي لا ينتمي الى ايَّام ابن مقلة فقط بل الى اوائل الاسلام كما اثبتهُ العلماء بما لا مردَّ عليهِ من البراهين . وسيأتي البحث عن هذه المسألة ان شاء الله



الكتابة السابعة

١َ الملك الناصر ... ٢َ العزّ العالي ا ٣َ المؤيّد المالك

لا نشكّ في كون هـذا الملك الناصر احد المماليك البحريين المشهورين نعني السلطان الملك الناصر *ناصر الدين والدنيا محمد ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون واخبار هذا السلطان معروفة . جلس على تخت الملك سنة ٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م وهو وقتئذٍ ابن سبع سنين وبعد سنة ملك الامير كتبغا الذي قد مرَّ الكلام عنهُ في شرح كتاباتنا العربية الثانية (المشرق ٣: ٣٦) ثمَّ رجع الناصر متسلّطًا سنة ٦٩٨هـ-١٢٩٨م الى سنة ٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م. فقام عوضهُ الملك المظفَّر ركن الدين بيبرس. غير انهُ لم يلبث الّا سنة حتى استولى على التخت ثالثًا



واستمرّ عليهِ الى سنة ٧٤١هـ — ١٣٤٠ م. وان اردتَ تفاصيل اخبارهِ فعليك بمراجعة التآليف التي استشهدنا بها في ايرادنا اخبار السلطان كتبغا

ولهذا الملك الناصر كتابات عديدة نشر قسماً منها العلامة ڤان بَركم في مجموعهِ المشهور وفيهِ (CIA, n° 100) ورد ان الملك الناصر تَكنّى بابي المعالي وهذه الصفة كما ترى توافق ما في القسم الثاني من كتابتنا اي «المعالي». وكلمة «المؤيد» التي في القسم الثالث مشهورة ايضاً في الكتابات عند ذكر اسامي المماليك وصفاتهم. واما النعت الاخير اعني بهِ «المالك» فنظنّهُ عزيز الوجود. غير انهُ ليس الّا الكلمة الاولى من عبارةٍ تكثر ورودها في ايام المماليك وهي «مالك رقاب الامم»

ومن كلّ ما تقدَّم نستنتج ان الأثر الذي نحن بصددهِ هو دون ريب من امتعة السلطان الملك الناصر (١. لكنّا لسوء الحظ لا نعرف في اي مكان وُجد. واماً استعمالهُ فالراجح انهُ غشاء حُقَّة نفيسة توضع فيها العطور او ما شاكلها. ولمزيد الايضاح اضفنا تحت الصورة الاولى مثال حُقَّة كاملة رسمها Collinot في كتابهِ المعنوَن Ornements arabes, 1883, pl. 32 وبين الصورتين تشابه جلي يغنينا عن اطالة الكلام (ستأتي البقيَّة)

(فائدة) وردت الينا من قِبَل العلّامة كلرمون غنو رسالة جديدة تتضمَّن ملاحظات مفيدة على الكتابات المنشورة في هذه المجلة منها انهُ عثر على ما يثبت قراءة اسم הדמר العلَم التدمري المؤنث المارّ شرحهُ (ص ٢٦١–٢٦٧) قال المؤلف الشهير: «قرأتُ على كتابة ضريحيَّة لاتينيَّة وُجدت في القنطرة من اعمال الجزائر (جنوبي القسطنطينيَّة) (٢ اسم امرأة تُدعى Julia Palmyra. وقد اكتُشف هذا الاثر في جملة الكتابات المديدة التي نقشتْها فرقةٌ من الجنود التدمريين الخادمين لدولة الرومان وكانوا قد احتلوا ذاك المكان من قِبل القياصرة (٣. فالظاهر ان تلك المرأة كانت تدمريَّة الإصل فيكون من ثمّ اسمها Palmyra عين العلَم الذي دوَّنتموهُ في مجلتكم الغراء» ونحن نثني المراسل الفاضل على هذه الملاحظة التي يزول معها كل شك في امر ذاك العلَم التدمري

---

١) ومما يؤيد قولنا هذا ان وجه المتاع يعلوهُ نوع من الزنجار (patine) الاسود السميك الدالّ على قِدَم عهد صنعهِ

٢) طالع L. Renier : *Inscript. rom. d'Algérie*, N. 1670

٣) راجع المشرق ١ : ٨٢٦

مطبوعات شرقية جديدة

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي

عرّبهُ المعلّم رشيد افندي الشرتوني

هي الرواية التي فكّهنا بها خواطر القرّاء في مجلّتنا. فجمعناها في كتاب منفرد ذي حجم متوسّط بلغ عدد صفحاته ٢٣٥ صفحة ومن خواصّ هذه الرواية ما تضمّنتهُ من تقلُّب الاحوال مع مراعاة صفات الاخلاق وتحاشي التكلُّف. ومن محاسنها ايضًا وصف بلاد كثيرة يسمع بها الشرقيون ولا يعرفون من امرها الّا القليل وربّما تهوّر السوريّون وهاجروا اليها وهم يظنّون انهم سيلقون فيها السعادة على الارض مع انّ اكثرهم لا يجدون فيها الّا البلاء. وخيبة الآمال فيثنون ذمّتهم ويفقدون كنزًا اثمن من الدراهم التي يتهافتون على تحصيلها في الاصقاع الاميركيّة. ومن حسناتها ايضًا حسن تعريبها وطلاوة عبارتها بحيث يجد فيها الاحداث مثالًا لنقل الاصول الاعجميّة مع توخّي الذوق الشرقي. فنحضّ محبّي الروايات وطلبة المدارس ان يقتبسوا من فوائدها ويرتاحوا الى اقاصيصها الفكاهية دون ان تعثر فيها رجلهم بما يندى لهُ جبين الادب او ينهتك بهِ ستر الفضيلة

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ قصيدة ليوسف افندي خطّار غانم قدّمها لجناب الفاضل خليل افندي جرجس نحّاس يهنئهُ بنجاته

٢ الشرق القديم (Der alte Orient) هي مجلة المانية ينشرها في ليبسيك بعض اساتذة اللغات الشرقية في كلّ ثلاثة اشهر يودعونها ابحاثًا مهمّة في كل علوم قدماء الشرقيين. وهذه اسماء المقالات التي اطلعنا عليها: ١ً شعوب آسية الشمالية للدكتور هـ. ڤنكلر. ٢ً احوال مصر في القرن الرابع عشر قبل المسيح وفقًا للمكاتبات المكتشفة في تلّ العمارنة للدكتور ك. نيبوهر. ٣ً جهنّم البابليين وسماؤهم للدكتور ا. يرمياس. ٤ً تحصين القلاع في الشرق القديم للدكتور ا. هيلّر بك

٣ الفرس وتركيبهُ وتشريح اعضائهِ الباطنة كُتب بالالمانية مع صورة ملوَّنة تمثّل كل اقسامهِ (A. Schwarz: *Das Pferd, sein Bau, seine innere Organe*)

٤ (الدنيا في باريس) هو مجموع رسائل رائقة المشرب للاديب احمد بك زكي يكتبها عن معرض باريس العام فينشرها صاحب طبيب العائلة كملحق اسبوعي لمجلتهِ

اسماء المجلات التي تبادل المشرق

١ المجلات الاوربية

١ المجلة الاسيوية الفرنسية Journal Asiatique, Paris

٢ المجلة الاسيوية الالمانية Zeitschrift der Deutsch. Morgenländ. Gesellschaft

٣ المجلة الاسيوية النمساوية Wiener Zeitsch. für Kunde d. Morgenlandes

٤ المجلة الاسيوية الايطالية Giornale della Società Asiatica Italiana

٥ المجلة الشرقية للدكتور بيزر Orientalist. Litteratur-Zeitung v. D^r Peiser

٦ مجلة بساريون الايطالية Bessarione, pubblicazione periodica di Studi Orientali, Roma

٧ جمعيَّة الكتابات والفنون الادبية Académie des Inscriptions et Belles-Lettres (Comptes rendus des Séances)

٨ اعمال المكتب المصري Bulletin de l'Institut Égyptien

٩ مجلة الابحاث للآباء اليسوعيين الفرنسويين Études publiés par des Pères de la C^ie de Jésus

١٠ مجلة « الاصوات » للآباء اليسوعيين الالمانيين Stimmen aus Maria-Laach

١١ المجلة الكتابية Revue Biblique Internationale

١٢ مجلَّة الموزيون Le Muséon, Études philolog., histor. et religieuses

١٣ مجلة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien, recueil trimestriel

١٤ قائمة المطبوعات الشرقيَّة في العالم Orientalische Bibliographie

١٥ قائمة لوزاك للمطبوعات الشرقية Oriental List of M^r Luzac

٣ المجلات الشرقية

١ الجامعة — ٢ الضياء — ٣ الطبيب — ٤ طبيب العائلة — ٥ المعلومات — ٦ المقتطف — ٧ الهلال

شذرات

﴿ كتابات قديمة في اثينة ﴾ انبأت جراند اثينا باكتشاف كتابات جدارية قديمة يرتقي عهدها الى المئة الخامسة عشرة قبل المسيح اعني قبل وضع الحروف اليونانية

﴿ هدية القيصر لفرنسة ﴾ اهدى القيصر نيقولا الثاني الى جمهورية فرنسة هدية تعدّ من اسنى التحف الملكية وهي خارطة تمثل فرنسة بضروب من الحجارة الكريمة. وقد رُسمت كلُّ الايالات والمقاطعات من الجواهر الثمينة كاللؤلؤ واللازورد والجزع والياقوت. وكذلك الجبال والانهار. امّا المدن الكبرى فيستدلّ عليها بحجارة كبيرة الحجم كلُّ مدينة على مقتضى كبرها وعدد سكّانها. فأُشير الى باريس بياقوتة بديعة الشكل غالية الثمن والى ليون بماسة والى مرسيلية بزمردة جميلة ثمنها ١٨٠٠٠ روبية وهكذا بقيّة المدن. وحجم الخارطة متر مربّع أُنفق عليها نحو اربعة ملايين من الفرنكات

﴿ الكسوفان الاخيران للشمس في القرن التاسع عشر ﴾ حدث الاول منهما في ٢٨ ايار ومجلّتنا تحت الطبع. وهذا الكسوف كان جزئيًا في بلاد الشام وفرنسة وتامًّا في الجزائر واسبانية والبرتغال واميركة الشمالية. ولا يلبث العلماء الذين تقاطروا الى مرصد اشبونة عاصمة البرتغال من كلّ أوب ان يفيدونا ما رصدوهُ في هذا الكسوف من الظواهر الفلكية. والشمس بقيت هناك محجوبةً عن العيان تمامًا دقيقة وثانيتين. امّا بلادنا فدام فيها الكسوف نحو ساعتين من اوّله الساعة ٥/٢١ الى منتهاهُ الساعة ٧/٢١ بعد الغروب وكُسف فوق ثلثي جرم الشمس

امّا الكسوف الثاني فوقوعهُ في ٢٢ تشرين الثاني وسيكون حلقيًا في شمالي اوسترالية وجنوبي افريقية لكنّهُ لا يُرى في اوربّا وآسية

﴿ شفاء السكارى بالمصل ﴾ اسرعت المجلات المصرية الى نقل

خبر اكتشاف جديد وهو شفاء السكارى بمصل فرس وذلك بان يُمزج بشراب الفرس موادّ كحليّة مُسكرة الى ان يعتاد السكر فيُستخرج مصلهُ ويطعَّم بهِ السكارى. لكن الخبر مبتسر فان مكتب العلوم الطبيَّة في باريس بيَّن ان هذا الاكتشاف لا صحَّة لهُ وان الاختبارات التي ذكرها بعض العلماء ليست بمقنعة

الذُّرة لا يخفى ان الذرة في بلادنا من اعظم اسباب المعاش لأكل الفاقة لكنَّ للذرة فوائد اخرى عديدة يجهلها اهل بلادنا ويرتزق بها ربوات من البشر. منها ان الاميركيين يستخرجون من الذرة النشأ وسكَّر النشأ (glycose). ومنها ايضًا انهم يقشّرون اصول الذرة بآلات معلومة ويعصرونها فيسيل منها زيتٌ صافٍ خفيف سهل التصفية لا يتغيَّر في الهواء وهم يتخذونهُ امَّا للاكل وامَّا لدهن الآلات الصناعيَّة. وقد اكتشفوا لهذا الزيت نفعًا جديدًا نال فيهِ الكثيرون المال الجزيل فانهم يجبِّدون هذا الزيت ويخلطونهُ بعصير المطَّاط (الكاوتشوك) فيصطنعون منهُ مطَّاطًا غاية في المرونة والصفاقة يُفضَّل على كل انواع المطَّاط. وقد عُدَّ مجموع ما يُصطنع من المطاط في العالم فقُدِّر بنحو عشرين مليون كيلو ثمنها نيف و ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

منع العصافير عن اكل البذور ان اردت ان تمنع العصافير عن اكل البذور فاخلط هذه البذور خلطًا حسنًا قبل زرعها بقليل من اوكسيد الرصاص الاحمر (minium) فلا يقرب منها العصافير بتَّةً. ويكفي ان تتخذ ربع كيلو منهُ لعشرة ليرات من البذور

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة القسّ قرياقوس مخنوق الكلداني من بغداد: هل توجد في سوريَّة وانحائها عادة الرشاش في عيد الصعود كما هي في الموصل وبغداد حيث يُسمَّى ذلك اليوم خميس الرشاش وما معنى هذه العادة ومتى ظهرت ؟

عادة الرشاش في خميس الصعود

ج انَّ هذه العادة جارية في عدَّة مواضع من بلاد الجزيرة. ولها اثر ايضًا في حلب كما اخبرنا الثقة وهي جارية عند الارمن في عيد تجلي الرب في انحاء الاناضول والجزيرة حيث يرشُّ الناس بعضهم بعضًا بالماء. امَّا معنى هذه العادة واصلها فانَّنا لم

نجد لذلك جوابًا. فان امكن احد قرائنا ان يعلّل هذه العادة ويبيّن اصلها فنثبت جوابهُ في المشرق شاكرين

س وسأل بعض افاضل البلدة: ١ً كم يبلغ عدد الناطقين بالضاد على سطح البسيطة. ٢ً اذا تلا احد المؤمنين صلاة التبشير المعتادة بدلًا من صلاة « افرحي يا ملكة السماء » في الأيام التي تلي عيد الفصح هل يربح الغفران المتعلّق بتلك الصلاة

عدد الناطقين بالضاد — صلاة التبشير

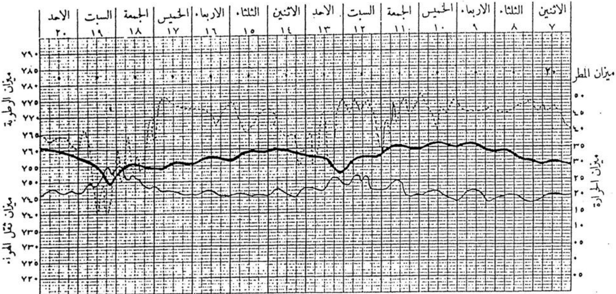
ج نجيب (على الاول) أنهُ لا بُدَّ من التمييز بين من يفهمون العربيَّة ومن يتكلَّمون بها. فان عدد الاولين يبلغ نيّفًا وتسعين مليونًا امَّا الآخرون فلا يتجاوزون اربعين مليونًا — ونجيب (على الثاني) انَّ الغفران المتعلّق بصلاة التبشير لا يُربح منذ سبت النور الى السبت الواقع بعد عيد العنصرة الَّا بتلاوة « افرحي يا ملكة السماء » ما لم يكن احد يجهل هذه الصلاة فيمكنهُ ان يتلو التبشير المعتاد (راجع Berin-ger : *Les Indulgences*, I, 183)

س وسألنا من كازان جناب المستشرق بندلي صليبا بن جوزي: ١ً هل تعرفون بعض كتب عربيَّة او غيرها عن الوهابيين وتاريخهم ٢ً هل طُبعت بالشرق الكتب الآتية: كتاب الملل والنحل لابن حزم ثمَّ كتاب الحيوان للجاحظ ثمَّ كتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون

الوهابيون — مطبوعات شرقيَّة

ج نجيب (على الاول) انَّ اصحاب الاسفار من الاوربيين قد اكثروا من وصف الوهابيين وذكر تاريخهم وعقائدهم. ولا حاجة الى تعداد هذه التآليف مع شهرتها وانَّما نكتفي بذكر كتاب نادر طبع في باريس سنة ١٨١٨ اسمهُ Mémoire sur les 3 plus fameuses sectes du Musulmanisme : par M. R.. وكتاب بُرخرت Burckhardt : *Notes on the Beduins and Wahabys*, London, 1831 امَّا المطبوعات الشرقيَّة فلا نعلم من ذلك غير « كتاب الدرر السنيَّة في الردّ على الوهابيَّة » جمعهُ شيخ الاسلام . . . السيد احمد بن زيني دحلان طبع بمطبعة القيصريَّة (كذا) سنة ١٣٠٢ — ونجيب (على الثاني) انَّ الكتابين الاولين لم يُطبعا اصلًا لا في الشرق ولا في الغرب. امَّا الثالث فلا نعرف منهُ غير طبعتهِ الباريسيَّة بالحرف العبراني ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٧ الى ٢٠ أيار



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطَّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلَّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر المِلّمترات